دورة أحكام الجنائز

د. شيرين لبيب خورشيد

الألوكة
www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

دورة

أحكام الجنائز

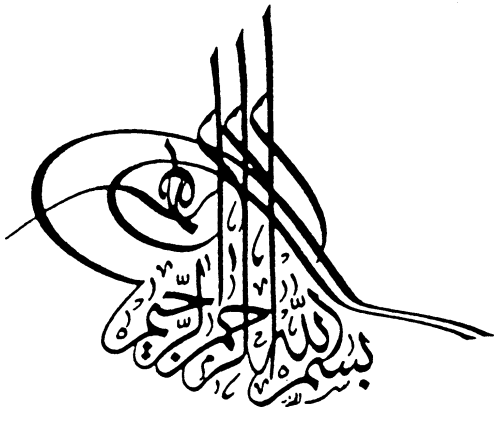
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

دورة
أحكام الجنائز

تجميع وإعداد
الدكتورة شيرين لبيب خورشيد

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

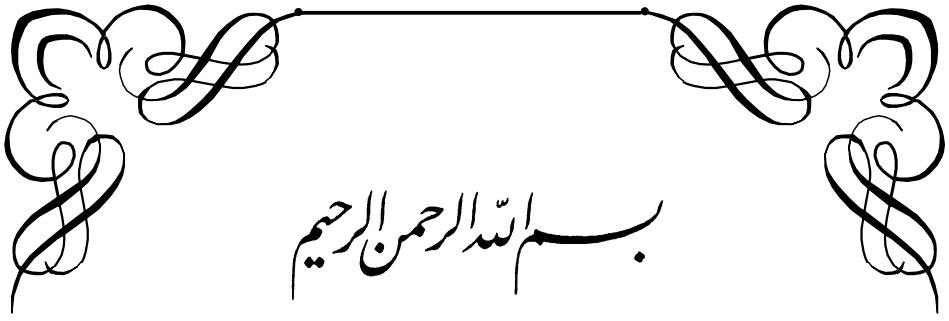

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً، والصلاة والسلام على خير الخلق محمد بن عبدالله رسول ربّ العالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

الحمد لله الذي شرفنا بتحمل الأمانة كرمًا منه ومنّة، وسخر لنا كل ما في السموات والأرض لنعمرها كما يحب ويرضى، وفق منهجه الذي ارتضاه للعالمين إلى يوم الدين. ومن مقتضيات هذه الأمانة؛ أن ندعو لجميع الناس بحسن الختام، وأن ننصحهم بتطبيق سنة نبيه ﷺ في حال الاحتضار، وما يتبعها من واجبات علينا تطبيقها تجاه المتوفَّى بعد إسلامه الروح، فالهدف من هذه الدورة: **العمل كي نُوَفَّقَ عند انتهاء الأجل إلى حسنِ الختام؛ لنا ولجميع من نحبّ من أهلنا وأقاربنا وأخواتنا وأحبتنا؛** نسأل الله أن يوفقنا لهذا؛ وذلك من خلال الدعوة إلى سبيله في جميع المجالس بصورة عامة، ومن خلال مجالس التعزية بصورة خاصة، وذلك ببثّ سنن الله ورسوله، فتلك أمانة الله ورسوله حقٌّ علينا أداؤها.

وإن هديه ﷺ في الجنائز أكمل الهدي، وفيه تميّزٌ عن هدي سائر الأمم؛ لاشتماله العبودية للربّ تبارك وتعالى، وعلى الإحسان إلى الميت، ومعاملته بما ينفعه في قبره، ويوم معاده، وعلى الإحسان إلى أهله وأقاربه، وفي ذلك إقامة لأحكام الله، وتطبيق لهدي رسوله ﷺ.

فالخير كل الخير، في اتباع سبيل السنة المطهرة، سواء في آداب الجنائز أم في غيرها، لذلك قال النبي ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ**»[1] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهنا عليّ القول إنه وعلى الرغم من هذا الحضور الكامل للسنة المطهرة في حياة المسلم، إلا أنكنّ تجدنَ إعراضًا من قِبَل كثير من المسلمين عمَّا جاء فيها من أحكام وتعاليم وآداب، يقابله إغراق فاحش في البدع والانحرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان، وخاصة في الجنائز.

ونظرًا لاستشراء البعد عن تطبيق شرع الله بشكل ملحوظ، فقد رأينا من واجبنا أن نسلط الضوء على أحكام الجنائز من خلال الرجوع إلى مصادر السنّة المطهرة والفقه الإسلامي، لمعرفة ما يجوز فعله وما لا يجوز؛ من خلال هذه الدورة المتخصصة في فقه الجنائز. وذلك يشمل: التذكير بالموت وكيفية الاستعداد له، وكيفية التعامل مع الميت حال الاحتضار، وبعدها، وذلك يشمل تغسيله وتكفينه، ثمّ ما يتعلق بتعزية أهل الميت، ومجالس التعزية، وأمر يهمّ المسلمات وهو العدّة وأحكامها ومتعلقاتها الواردة في القرآن والسنة، كل ذلك في هذه الدورة التي ستستمر ثلاثة أشهر.

نسأل الله عزّ وجلّ أن ينفع بهذه الدورة كل من حضرها وحضّر لها، لنخلص إلى فريق عمل متخصص يسدّ الثغرات التي تحتاجها الأمة في هذا المجال.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) رواه الحاكم في المستدرك ح(٣١٨)، والآجري في الشريعة (١٧٠٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المرض
نعمة وليس نقمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. يا رب قد عجز الطبيب فداونا، يا رب قد عمَّ الفساد فنجنا، يا رب قلّتِ الحيلة فتولنا، ارفع غضبك ومقتك عنا ولا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ولا تحاسبنا بما فعل السفهاء منا. يا رب اغفر ذنوبنا واستر عيوبنا واقبل توبتنا وأصلح قلوبنا، وارحم ضعفنا وتولّ أمرنا واستر عوراتنا وآمن روعاتنا وآمنا في أوطاننا وبلغنا ما يرضيك عنا واختم بالصالحات أعمالنا، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك، صلِّ اللَّهمَّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

- **هل المرض نعمة أو نقمة؟**

لكي نجيب عن هذا السؤال وقبل الحديث عن المرض نستعرض أصل خلق الإنسان لِنُلِمَّ بحقائق الإنسان وواقعه.

سؤال:

١ ـ ما الهدف الحقيقي من خلق الإنسان؟

٢ ـ هل خلق الله ﷻ الإنسان ليعذبه؟

٣ ـ هل خلقه ليدخله النار؟

علينا أن نؤمن إيماناً جازماً بأن الله ﷻ خلق الإنسان لغاية عظيمة، وجعله أفضل المخلوقات وأشرفها.

الإنسان مخلوق منذ النشأة الأولى في أحسن تقويم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠] ولله غاية في خلقه في هذه الحياة الدنيا. زوده الله ﷻ بمقومات تساعده على هذه الحياة، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٢ ـ ٣] نستدل من هذه الآية إن الغاية من خلق الإنسان هي اختبار وامتحان إيمانه في ظروف الحياة الدنيا. قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٦]، فالإنسان خلقه الله ﷻ لحكمة عظيمة حينما قال تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، أي: إنه خليفة على وجه الامتحان والاختبار حينما عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبيّن أن يحملنها وحملها الإنسان. قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وهذا العرض هو من قبله آدم عليه السلام، وعَلِم آدم عليه السلام مقتضيات هذا العرض والتكليف الذي خافت منه السماوات والأرض والجبال، ما دام الأمر عرضاً لا جبر فيه، حينها قال تعالى لآدم وذريته معه خذ الأمانة أيها الإنسان وستدخل رحلة الامتحان في الوقت المقدر لدخولك عبر الحياة الدنيا، منذ بلوغك سن التكليف حتى وفاتك، ثم تكون لك حياة أخرى لمحاسبتك ومجازاتك، فالغاية من خلق الإنسان بعد تحمله الأمانة هو الدخول في رحلة الامتحان، بعد أن توجه له تكليف لفعل أشياء وترك أشياء على خلاف رغباته وشهواته وأهوائه، ومع إباحة فعل أشياء لتلبية مطالب حاجاتكم وشهواتكم. وبعدها سيكون له الجزاء يوم الحساب فهو ملاحق بالمحاسبة والجزاء حسب اختياره في رحلة الامتحان.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لذلك حباه الله ﷻ بمقومات كثيرة وسخر له كل الخلائق من حوله، وجعله مخلوقاً عاقلاً مكلفاً لا يفعل شيئاً فيما استرعاه الله إلا بالعودة إلى أمر الله من خلال الرسالة التي نزلت من السماء وحملها جميع الرسل والأنبياء، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢ ـ ٣٤].

فالغاية من خلق الإنسان هي ابتلاؤه، أي: اختباره في ظروف هذ الحياة الدنيا، ودلّ القرآن الكريم أن هذا الإنسان يعيش عمره كادحاً للوصول إلى رضا الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾ [الانشقاق: ٦].

كادح: الكدح العمل والسعي بنصب ومشقةٍ في كسْبِ خيرٍ أو اكتساب شر. فهو يتحمل المتاعب والمشقات في سبيل الوصول إلى رضا ربه. لذلك امتنّ الله على الإنسان بمواهب جليلة تساعده في هذه لحياة. منها أن الإنسان قابلٌ للعلم وصنعة الكتابة. مع ذلك وصف الإنسان إنه عجولٌ مجادلٌ وضعيفٌ، ومن أجل ذلك كلفه الله ﷻ مراعياً ضعفه، ووضعهُ موضع المسؤولية والمؤاخذة مع مراعاة الواقع الذي هو فيه، وفتح له أبواب العفو والغفران والتوبة مراعاةً لهذا الواقع.

وضعف الإنسان يشمل الضعف الجسدي، والضعف النفسي، وضعف العزيمة والإرادة، وضعف القدرة على الضبط الدائم تجاه دوافع نفسه وغرائزه وشهواته وأهوائه.

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٧ ـ ٢٨].

ومن الصفات التي وصف الله بها الإنسان أنه جحودٌ كنودٌ كفورٌ

باستثناء الذين آمنوا وعملوا الصالحات؛ وهذه الصفة هي التي سنتحدث عنها في موضوعنا هذا.

● الفتنة والامتحان:

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣].

وقال تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

ويأتي هذا الامتحان في شدته على قدْرِ الإيمان. عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ النَّاس أَشَدُّ بلاءً؟ قال ﷺ: «**الأنبياء ثمّ الأمثلُ فالأمثل، فيُبتلَى الرَّجلُ على حَسَبِ دينهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينهِ صُلاباً اشْتدَّ بَلَاؤُه، وَإِنْ كَانَ فِي دِينهِ رقةٌ ابْتليَ عَلَى قَدْرِ دِينهِ، فَمَا يَبْرح البَلَاء بِالْعَبدِ حَتَّى يَتْركه يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطيئةٌ**»[1].

وهل هذه الفتن تُعرَض على غير المؤمن؟ فهذه السنةُ لا يُستثنَى مِنها بَرٌ ولا فاجر لا مؤمن ولا كافر فهي سننٌ كونية لقوله تعالى: ﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ۝١٨٦﴾ [آل عمران: ١٨٦].

ومن أنواع الابتلاء: قال ابن كثير في تفسير الآية ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ...﴾[2] قال ابن عباس رضي الله عنهما: «نبتليكم بالشدةِ والرخاءِ والصحةِ والسقمِ والغنى والفقرِ والحلالِ والحرامِ والطاعةِ والمعصيةِ والهدى والضلالَ.

---

(١) رواه الترمذي، في كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، حديث رقم ٢٣٩٨.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ج٣، ص١٨٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال النووي: «قال أهل اللغة: أصلُ الفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان. قال القاضي: ثم صارت في عُرفِ الكلام لكل أمرٍ كَشَفَهُ الاختبارُ عن سوء.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: «وتطلق الفتنةُ على الكفر والغلوُ في التأويل البعيد، وعلى الفضيحة، والبليةِ، والعذابِ، والقتالِ، والتحوُلِ من الحَسَنِ إلى القبيح، والميل إلى الشيء والإعجاب به، وتكونُ في الخيرِ والشرِ كقوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾.

● المرض وأسبابه:

(المرض: نوعان: مرض القلوب، ومرض الأبدان، وهما مذكوران في القرآن.

مرض القلوب: نوعان: مرض شبهة وشك، ومرض شهوة وغيٍّ، وكلاهما ذكر في القرآن: قال تعالى في مرض الشبهة: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠].

أما مرضُ الشهوات ففي قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب: ٣٢].

أما مرض الأبدان: فقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١].

وذُكْرُ مرضِ البدنِ في الحجِ والصوم والوضوءِ لَسِرٌ بديع يبين لك عظمةَ القرآن، والاستغناء به لمن فَهِمَه وعقَلَه عن سواه، وذلك أن قواعدَ طِب الأبدان ثلاث:

١ ـ حفظَ الصحة.

٢ ـ الابتعادَ عن المؤذي.

٣ ـ استفراغ الموادِ الفاسدة.

ـ أما سبب أمراض القلوب فتتلخص في عدم معرفةِ الله ﷻ المؤثر في كل شيء، فيطمئن على بصيرةِ العبدِ فيجعل للَّهِ أنداداً أو يشبِّهه بمثْل ويشك في قدرته تعالى فيستعظم حياته بعد موتِه، ويشك في إمكانية البعث، والقيامة والحساب والجزاء، والثواب والعقاب. كل ذلك توسوس به نفسه.

ـ **أما سبب مرض الشهوة**: هو إشباع رغبات الإنسان فلا يفرق بين الحلال والحرام ولا يقنع بما أنعم الله عليه، فيصبح قلبَه في يدِ غيره.

ـ **أما مرض البدن**:

فالمريض: هو من يعاني علةً في البدن، كالشللِ أو الحميّات والدَّرنِ والصفراء، أو علةٍ في المعِدةِ والأمعاءِ وإلى ذلك من أنواع العلل. كما أن هناك الأمراضَ النفسية: وهذه الأمراضُ تنتج عن مؤثراتٍ خارجيةٍ في الحياةِ العامة، مثلِ الخوفِ والشك، وكثرةِ الإجهادِ أو الحزنِ على ما فات والحرصِ على المستقبل؛ كل ذلك يسبب سقم النفس)[1].

● ما هو سببُ الأمراض برأيك؟

ـ هل هي بسبب الابتعاد عن السنن الكونية التي أمرنا الله ﷻ باتباعِها وعدمِ تركِها؟

ـ أم هي بسببِ معاصي الإنسان؟

ـ أم هي للابتلاءِ والامتحانِ فقط؟

ـ أم هي مكفراتٌ للذنوب؟

ـ أم إنها الأربعة؟

---

(١) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، فصل الطب النبوي، الجزء الرابع، ط١٣، بيروت، مؤسسة الرسالة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لقد أجاب العلماءُ عن هذه الأسئلةِ واستفاضوا بها. عل هذا الإنسان الجاحد الكنود يعودُ إلى الله ﷻ استجابةً لأوامره وذلك من خلال معرفة الغاية من خلقه.

ـ أما بالنسبة للابتعاد عن السنن الكونية التي أمرنا الله ﷻ باتّباعها وعدمِ تركِها والأخذِ بالأسباب:

ففي هديه ﷺ في الاحتماء من التُّخَم والزيادةِ في الأكل على قدرِ الحاجة، والقانون الذي ينبغي مراعاتُهُ في الأكل والشرب. ففي المسند وغيره: عنه ﷺ أنه قال: «**ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطن، بحسْبِ ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بد فاعلاً فثُلُثٌ لطعامِه وثلُثٌ لشرابِه وثلثٌ لنَفَسِهِ**»(١).

وهنا الأمراضُ نوعان:

أ ـ أمراضٌ ماديةٌ تكون بسبب زيادة مادة أفرطت في البدن حتى أضرَّت بأفعالِ الطبيعة، وهي أمراضُ أكثريةِ الناس:

ـ وسببُها إدخالُ الطعامِ على البدنِ قبل هضمِ الأول.

ـ الزيادةُ في القدْر الذي يحتاج إليه البدن.

ـ تناولُ الأغذية القليلةِ النفعِ، بطيئةِ الهضم.

ـ الإكثارُ من الأغذيةِ المختلفةِ التراكيبِ المتنوعة.

فإذا ملأ الآدمي بطنَه من هذهِ الأغذيةِ واعتاد ذلك أورثته أمراضاً متنوعة.

بـ أيضاً هناك الكثير من الأمراض العضوية والأمراض النفسية المتشابهة الأعراض، الناجمة عن المسّ الشيطاني، أو السحر، أو الحسد، أو العين.

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، حديث رقم ٢٣٨٠، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وهذه الأمراض لا يمكن أن تعالجَ عن طريق الطِب الحديثِ «كما أن رسول الله ﷺ قد علّمنا ونبّهنا إلى أن الشيطانَ إذا وجد شيئاً من أثر الطعام على جسد بني آدم فإنه لا يتورع عن لحسه وفي لحسه قد يترُكُ على أيدينا بعض النجاسة المادية والمعنوية، وتشتمل النجاسة المادية بالقاذورات والأوساخ والميكروبات التي يمكن أن يخلفها ريقه على أسناننا وأيدينا وأثوابنا، إذا كانت عليها آثار أو بقايا طعام. وقد تجلب لنا بعضَ الأمراضِ الغريبة التي يقف الطب البشري حائراً وعاجزاً أحياناً أمامها، لا يعرف لها دواءً ولا يعرف لها سبباً ولا طريقة للشفاء»[1].

فهذه الأمراض أسبابها الابتعاد عن السنن الكونية التي أمرنا الله بها.

- **الأمراض بسبب المعاصي:**

١ ـ ضررُ الذنوبِ في القلبِ كضررِ السمومِ في الأبدان:

إن الذنوبَ والمعاصيَ تضُرُّ بالإنسان، فما الذي أخرج الأبوين من الجنة، دارِ اللذةِ والنعيمِ والبهجةِ والسرور، إلى دارِ الآلام والأحزان والمصائب؟

إنّ القلبَ يصدأ من المعصيةِ، فإذا زادت غلب الصدأ حتى يصيرَ راناً، يغلب حتى يصير طبعاً وقفلاً وختماً، فيصيرُ القلبُ في غشاوة وغلافِ قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤].

قال: الران هو الذنب بعد الذنب حتى يعمى القلب.

٢ ـ المعاصي سبب الفساد في الأرض:

من آثار الذنوب والمعاصي: أنها تحدث في الأرض أنواعاً من الفسادِ في المياه والهواء والزروع والثمار والمساكن. قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١].

---

(١) العلاقة بين الجن والإنس، الدكتور إبراهيم أدهم، ص٢٥٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمَّهم اللَّهُ بعذاب من عنده**»، فقلت: يا رسول الله، أما فيهم يومئذٍ أناسٌ صالحون؟ قال: «**بلى**» قلت: فكيف يُصنع بأولئك؟ قال: «**يُصيبهم ما أصاب الناس، ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان**»[1] رواه أحمد، وفي سنن ابن ماجه من حديث عبدالله بن عمر بن الخطاب قال: كنتُ عاشِرَ عشرةِ رَهطٍ من المهاجرين عند رسول الله ﷺ، فأقبل علينا رسول الله ﷺ بوجههِ فقال: «**يا معشرَ المهاجرين، خمس خصال [إذا ابتليتم بهن] أعوذ بالله أن تدركوهن: ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولا نقص قومٌ المكيالَ والميزانَ إلا ابتلوا بالسنين وشدةِ المؤنة وجورِ السلطان، وما منع قوم زكاةَ أموالِهم إلا منعوا القطرَ من السماء، فلولا البهائمُ لم يمطَروا، ولا خفر قومٌ العهدَ إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تعملْ أئمتُهم بما أنزل الله ﷻ في كتابه إلا جعل الله بأسَهم بينهم**»[2].

٣ ـ والذنوب تزيلُ النِّعم وتحل النقم:

من عقوبات الذنوب أنها تزيل النعم وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمةٌ إلا بذنب، ولا حلت به نقمة إلا بذنب، كما قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: «ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة»، وقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣﴾ [الأنفال: ٥٣] فأخبر الله تعالى أنه لا يغير نعمته التي أنعم بها على أحد حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه، فيستبدل بطاعة الله معصيةً، وبشكره كفراً وبأسباب

(١) رواه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن.
(٢) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات حديث رقم، ٤٠١٩.

رضاه أسبابَ سخَطِه فإذا غيّر غُيِّر عليه، جزاء وفاقاً، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

٤ ـ وأن الذنوبَ مسببةٌ للأمراضِ والأوبئة:

عن البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما اختلج عِرق ولا عينٌ إلا بذنب، وما يدفع الله عنه أكثر**»[(١)]، أي: لو عاقب الله المذنبَ بالمرض لما بقي أحد مُعافى ولكنه سبحانه يدفع ويغفر الكثير.

- **هل المرض للابتلاء والامتحان وهل هو عنوان محبة؟**

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن عِظَمَ الجزاء مع عِظَم البلاء، وإن الله إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضى، ومن سخِط فله السَّخَط**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**إذا أراد الله بعبده خيراً عجّل له العقوبة في الدنيا**» رواه الترمذي[(٣)].

ومن تأمل سِيَرَ الأنبياءِ والرسلِ عليهم الصلاة والسلام ـ وهم من أحب الخلق إلى الله ـ وجد البلاء طريقهم، والشدة والمرض ديدَنهم. وإن الأمراضَ والأسقامَ من جملة ما يبتلي الله به عباده امتحاناً لصبرهم، وتمحيصاً لإيمانهم... بل هي ـ لمن وفق لحسن التدبر ـ نعمة عظيمة توجب الشكر.

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ

---

(١) قال الطبراني في الكبير، ورواه الألباني في الجامع الصحيح حديث رقم ٥٥٢١.

(٢) رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، حديث رقم ٢٣٩٦، وقال: حديث حسن غريب.

(٣) رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، حديث رقم ٢٣٩٦، وقال: «حديث حسن غريب من هذا الوجه».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

● هل هي مكفرات للذنوب؟

من حسن حظ هذا المؤمن أن ما من هَمٍّ أو نَصَب يصاب به إلا كان كفارةً يكفَّر بها من الذنوب والخطايا يقول الله تعالى: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: ١٢٣].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به من سيئاته كما تحط الشجرة ورقَها**»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما يزال البلاء بالمؤمنِ والمؤمنةِ في نفسه وولده ومالِهِ حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة**»(٢).

● هل تَقَبُّل المرض والصبر عليه من الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره؟

الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره هو الركن السادس من أركان الإيمان، فلا يتحقق إيمان العبد حتى يؤمن بالقدر.

من معنى تقدير الله لشيء ما يتضمنُ إثباتَ الكتابة في اللوح المحفوظ قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢].

---

(١) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب وضع اليد على المريض، حديث رقم ٥٦٦٠.

(٢) رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، حديث رقم ٢٣٩٩، وقال: حديث حسن صحيح.

وقال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

وعن عبادة بن الصامت ﷺ أنه قال لابنه: يا بني إنك لن تجد طعمَ الإيمانِ حتى تعلمَ أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ أولَ ما خلق الله تبارك وتعالى: القلم، فقال له: اكتب. فقال: يا رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**»، **ثم قال عبادة بن الصامت يا بني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات على غير هذا فليس مني»**[1].

والأقدار التي تجري على الإنسان تنقسم إلى قسمين:

الأول: أمورٌ تجري على الإنسان بتقدير الله سبحانه تعالى دون أن يكون للإنسان فيها إرادة أو اختيار: كالوجود والعدم، والطول والقِصَرِ، والجمالِ والقبحِ، والذكاءِ والغباءِ، والصحةِ والمرضِ، والحياةِ والموتِ، وسائر ما يجري على الإنسان من خيرٍ أو شرٍ، مما لا دخل له فيه ولا تسبُّب.

فهذه الأمور لا نسأل عنها، ويجب علينا أن نرضى بما قدّر الله لنا منها، وأن نؤمن أنها تجري بتقديرٍ سابقٍ على وفقِ علمٍ وحكمة، قد تظهرُ لنا، وقد تخفى علينا، وقد نعرف منها شيئاً، وتغيب منها أشياء.

الثاني: أمورٌ تجري على الإنسان بتقدير من الله سبق على وفق علم الله وحكمته. ولكن للإنسان فيها تسبّبٌ وعملٌ وإرادة وقصد مثل: الأكلِ والشربِ واللبسِ، من المباحات، ومثل: الصلاة والإنفاق والجهاد، من الطاعات، ومثل الزنا والسرقة وشرب الخمر، من المحرمات.

فهذه الأعمال تقع حسب علم الله وكتابته ومشيئته وقدرته وفي هذا القسم من القدر يجازى الإنسانَ على الخيرِ خيراً بأضعافِ عملهِ، وعلى الشرِّ شراً مساوياً لعمله الذي قدّم.

---

(١) رواه الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء في الرضا بالقضاء حديث رقم ٢١٥٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كما جاء في حديث قدسي عن أنس: «**وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر وإن بسطت له لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك، وإن عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك: «إني أدبر عبادي بعلمي بما في قلوبهم إني عليم خبير»**[(١)].

● هل الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره يمنع الإنسان من التداوي:

الإسلام والعافية أخوان توأمان، والإسلام جاء بالشفاء والعافية، جاء بشفاء الإنسان في قلبه، في روحه في نفسه، وجاء كذلك بشفاء بدنه.

فقد صح من كلام رسول الله ﷺ ما يؤيد هذا فقد روى مسلم في صحيحه: من حديث أبي الزبير، عن جابر بن عبدالله، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لكل داءٍ دواء، فإذا أصيب دواءُ الداءِ، برأ بإذن الله ﷻ**»[(٢)]. وفي الصحيحين: عن عطاء، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أنزل الله من داءٍ إلاّ أنزل له شفاء**»[(٣)].

وفي مسند الإمام أحمدَ: من حديث زيادِ بن علاقة، عن أسامةَ بن شُرَيك، قال: كنت عند النبي ﷺ، وجاءتِ الأعرابُ، فقالوا يا رسول الله! أنتداوى؟ فقال: «**نعم يا عباد الله داوَوْا، فإن الله ﷻ لم يضع داءً إلا وضَعَ له شفاءً غيرَ واحدٍ**»، قالوا: ما هو؟ قال: «**الهرم**»[(٤)]. فالعافية نعمةٌ تغطى رؤوس الناس، ذلك لأنهم لا يعرفونها إلا حين يفقدونها.

---

(١) أخرجه الطبري في قطعة من حديث مطول، وهو ضعيف.

(٢) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، حديث رقم ٢٢٠٤.

(٣) البخاري، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء حديث رقم ٥٦٧٨.

(٤) سنن الترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في الدواء والحث عليه، حديث رقم ٢٠٣٨.

وقد جمع الإمامُ السيوطي كتاباً أسماه: الطبَّ النبوي، جمع فيه كل ما ورد عن رسول الله ﷺ من قواعدِ الشفاء والعافية، نطق بها المعصومُ ﷺ. وفي كتاب زاد المعاد في فصل الطبِّ النبويّ ما يشفي العليل من جميع الأسقام إن كانت بسبب إهمال سنة من السنن الكونية أو بسبب معصية أو بسبب ابتلاء من الله ﷻ. ليت الجميع يقرؤونه ليستفيدوا من كنوزه الجمة.

● هل المرض نعمة: أحاديث تثبت أنه نعمة للمؤمن: هل هو عنوان المحبة؟

البلاء والأسقام منهج رباني لتربية الفرد المسلم الذي قد يغفل عن حمد الله تعالى، أو يقصر أحياناً عن تنفيذ أوامر ربه، فينقذه الله برحمته ويبتليه الله في نفسه فيخرج من هذا الابتلاء أصلب عوداً وأقوى إيماناً. فإذا أحسن بينه وبين ربه، ورزقه صبراً عليها كانت علامة خير ومحبة. والرضا بالفقر والمرض وقبض الدنيا وأسبابها وأذى الخلق قد يكون أعظم النعمتين. نعمة الصبر والشكر، تأملوا قول النبي ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن، إنّ أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**»[1].

وقال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ﴾.

وفي حديث: «**إن المؤمن إذا أصابه السّقم ثم عافاه الله منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل، وإن المنافق إذا مرض ثم عوفي كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه ـ ربطوا يده حتى لا يقوم ـ فلم يدر لم عقلوه ولم أرسلوه**»[2].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الزهد، باب المؤمن أمره كله خير حديث رقم ٢٩٩٩.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الجنائز، باب الأمراض مكفرة للذنوب، حديث رقم ٣٠٨٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ـ وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**ما يصيب المسلم من نصب (تعب) ولا وصب (مرض) ولا هَمَّ ولا حَزَن ولا أذى ولا غمّ ـ حتى الشوكة يشاكها ـ إلا كفر الله بها من خطاياه**»(١).

ـ وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة**»(٢).

ـ ومن فضل الله تعالى على أصحاب البلاء في الآخرة أن الله يدخلهم الجنة بلا حساب فقد غفر الله لهم ذنوبهم كلها قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] ومن فضل الله تعالى على الصابرين أن الله معهم في صبرهم وبلائهم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦] وأن محبة الله تعالى ينشرها عليهم تكرماً ورحمة لهم لما تحملوه في سبيله قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

ولقد رفع الله درجة الصابرين إلى درجة أولي العزم فقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

ومن زيادة إكرام الله تعالى للصابرين أن تحيتهم الملائكة عند دخول الجنة قائلين لهم ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٤].

فقد صبر الأنبياء على البلاء، ابتلي رسول الله ﷺ بأنواع من البلاء في جسده الشريف فصبر على ذلك، وكان البلاء يضاعف عليه لينال الأجر مضاعفاً من الله تعالى، روى ابن مسعود ﷺ أنه دخل على النبي ﷺ يعوده من مرض ألم به فوجده قد اشتد عليه المرض كثيراً، فقال ابن مسعود: إنك يا رسول الله لتوعك (أي: تمرض) وعكاً شديداً، وذلك أن

---

(١) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، حديث رقم ٥٦٤١، ٥٦٤٢.

(٢) رواه الترمذي كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، حديث رقم ٢٣٩٩، وقال: حديث حسن صحيح.

لك أجرين، فقال رسول الله ﷺ: «**أجل ما من مسلم يصيبه أذى إلا حاتَّتْ (تساقطت) عنه خطاياه كما تحاتُّ ورق الشجر**»[1].

وذكر الله لنا قصة ابتلاء نبي الله أيوب عليه السلام في سورة ص وقال علماء التفسير: إن ابتلاء سيدنا أيوب قد طالت مدته حتى أقعده المرض ولزم فراشه سنين عديدة كما أن الله ابتلاه بفقد بعض أولاده، ثم دعا أيوب عليه السلام ربه فاستجاب الله دعاءه.

ـ كانت أم زفر رضي الله عنها مريضة بمرضِ الصرع، فكانت تصرع فتتكشف فذهبت إلى النبي ﷺ فطلبت منه الدعاء لها فقال لها: «**إن شئت صبرتِ ولكِ الجنة، وإن شئت دعوتُ الله لكِ أن يعافيك**»، فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشّفُ فادع الله لي أن لا أتكشف فدعا لها[2] فكان بعض أصحاب النبي ﷺ يقول أحدهم للآخر: ألا أريك امرأة من أهل الجنة، هذه المرأة السوداء رضي الله عنها ـ أم زفر ـ ويذكر له قصتها وكيف فضلت الصبر على البلاء في الدنيا حتى تنال جنة عرضها السماوات والأرض.

وزار النبي ﷺ امرأة اسمها أم السائب قد أصابتها الحمّى فقال لها: «**ما لَكِ تزفزفين يا أم السائب**»، وكانت الحُمّى تشتدُ عليها فترتعد أوصَالها فقالت: الحمى، لا بارك الله فيها، فقال لها: «**لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا ابن آدم كما يذهب الكير** (آلة نفخ النار) **خَبث الحديد**»[3].

قال ابن خلكان:

وقدم تلك السنة قومٌ من بني عبس فيهم رجل ضرير، فسأله الوليد عن عينيه، فقال: يا أمير المؤمنين، بتُّ ليلة في بطن وادٍ ولا أعلم عبسيًّا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب ما يقال للمريض، وما يجيب، حديث رقم ٥٦٦١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب ما يقال للمريض، وما يجيب، حديث رقم ٥٦٥٢.

(٣) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها حديث رقم ٢٥٧٥. وفيات الأعيان ج٢، ص٤٣١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يزيد مالُه على مالي، فطرقنا سيلٌ، فذهب بما كان لي من أهل وولد ومال، غيرَ بعيرٍ وصبي مولود، وكان البعير صعبًا فنَدَّ، فوضعت الصبي واتبعتُ البعير، فلم أجاوز إلا قليلاً حتى سمعت صيحة ابني ورأسُه في فم الذئب وهو يأكله، فلحقت البعيرَ لأحبسه، فنفحني برجله على وجهي، فحطمه وذهب بعيني، فأصبحت لا مال لي، ولا أهل، ولا ولد، ولا بعير، فقال الوليد: انطلقوا به إلى عروة؛ ليعلم أن في الناس مَن هو أعظم منه بلاء.

وكان أحسن مَن عزَّاه إبراهيم بن محمد بن طلحة، فقال: والله ما بك حاجةٌ إلى المشي، ولا أَرَب في السعي، وقد تقدَّمك عضوٌ من أعضائك، وابنٌ من أبنائك إلى الجنة، والكل تبعٌ للبعض - إن شاء الله تعالى - وقد أبقى الله لنا منك ما كنا إليه فقراء، وعنه غير أغنياء، من عِلمِك ورأيك، نفعك الله وإيانا به، والله ولي ثوابك، والضمين بحسابك.

وقال ابن قتيبة وغيره: لما دُعي الجزار ليقطعها، قال له: نسقيك الخمر؛ حتى لا تَجِد لها ألمًا، فقال: لا أستعين بحرام الله على ما أرجو من عافية، قالوا: فنسقيك المُرْقِد، قال: ما أحب أن أسلب عضوًا من أعضائي وأنا لا أجد ألم ذلك فأحتسبه، قال: ودخل عليه قوم أنكرهم، فقال: ما هؤلاء؟ قالوا: يمسكونك؛ فإن الألم ربما عزب معه الصبر، قال: أرجو أن أكفيَكم ذلك من نفسي، فقُطِعت قدمه بالسكين، حتى إذا بلغ العظم وضع عليه المنشار فقطعت، وهو يهلِّل ويكبِّر، ثم إنه أغلي له الزيت في مغارف الحديد، فحسم به، فغشي عليه، فأفاق وهو يمسح العرق عن وجهه، ولما رأى القدم بأيديهم دعا بها، فقلبها في يده، ثم قال: أما والذي حملني عليك، إنه ليعلم أني ما مشيتُ بك إلى حرام - أو قال: معصية - ولما دخل ابنه إصطبل الوليد بن عبدالملك وقتلتْه الدابَّة - كما تقدم - لم يسمع في ذلك منه شيء، حتى قدم المدينة فقال: اللهم إنه كان لي أطراف أربعة، فأخذتَ واحدًا وأبقيتَ لي ثلاثة، فلك الحمد، وايم الله لئن أخذتَ لقد أبقيتَ، ولئن ابتليت لطالما عافيت.

صبر عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللَّهُ حيث كان رجلاً تقياً كثير الزهد والعبادة، وقد ابتلاه الله بمرض في رجله وقرر الأطباء بترها، فطلبوا منه أن يتناول مادة مخدرة قبل إجراء العملية فأبى وقال إن المخدّر سيؤثر على نعمة العقل التي وهبني الله إياها، ولكن إذا شرعت في الصلاة فافعلوا ما أردتم، فلما شرع في الصلاة أجرى الأطباء له تلك العملية فما تأوه أو قطع صلاته، ولمّا سلم من صلاته علم أنهم انتهوا من قطع طرفه فحمد الله تعالى وقال: الحمد لله، اللَّهمَّ إن كنت أخذت مني طرفاً فقد أبقيت لي آخر[1].

● هل المرض نقمة؟ آيات تثبت أنه نقمة للكافر:

من الصفات التي وصف الله بها الإنسان أنه جحود كنود كفور إذا أصابته النعمة أعرض ونأى بجانبه وكفر بأنعم الله عليه وإذا مسه الضر كان يؤوساً متضجراً حزيناً متسخطاً على ربه، زاعماً أن الله لم يعطه في الحياة ما يستحق. شاكاً بعدل الله وحكمته أو جاحداً ذلك.

قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [الإسراء: ٨٤].

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾ [الشورى: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ [فصلت: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الروم: ٣٦].

---

(١) انظر وفيات الأعيان»، لابن خلكان، ج٢، ص٤١٨ ـ ٤٢١، و«البداية والنهاية»، ص١٠١ ـ ١٠٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا الإنسان الكفور في حالة نزع النعمة عنه يغدو يؤوساً من حياته متضجراً من وجوده كفوراً بربه، لذلك فهو يجتر آلامه وأحزانه، ولا يرتقب من الله فرجاً ولا مخرجاً، لأنه لا يؤمن به، أو يتخلص من الحياة بالانتحار، إن هذا الإنسان الكفور هو الذي يعتبر أن البلاء نقمة عليه.

- **في الختام:**

نخلص أن على الإنسان المسلم التعرف على السنن الكونية المأمور باتباعها، وعدمُ التعدي الحدود التي شرعها لنا الله لأن ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

والعودة إلى الله ﷻ وعدم عصيانه ـ قدر الإمكان ـ وتحري الفضائل والإتيان بها. والصبر على المصائب وشكر الله وحمده على جميع الأحوال ومعرفة أن المصائب مكفرةٌ لذنوب الصابرين الشاكرين.

من الإيمان أن نسعى إلى معالجة الأدواء والتفتيش عن الأدوية المناسبة بالإضافةِ إلى التوكُّل على الله. وإن لم نفعل ذلك لا نكون متوكلين بل متواكلين.

وختاماً نقول:

اللَّهمَّ إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

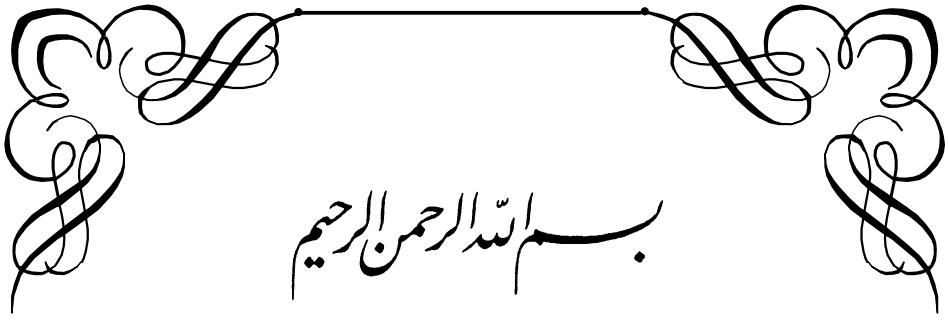

فاقد الشيء لا يعطيه

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن الإيمان هو الأساس الذي لا يقبل العمل إلا به، ولا تحصل السعادة في الدنيا والآخرة إلا به.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾[1]، ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا﴾[2].

فاقد الشيء لا يعطيه:

قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.
(٣) سورة محمد، الآية: ١٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[2].

قوة المؤمن هي بالعلم:

فالجهل هو أول مدخل من مداخل الشيطان؛ لأن الجاهل لا يعرف مداخل الشيطان فيسدّها، ولا مكائده فيبطلها، ولا شباكه فيتجنبها، فيجتذبه الشيطان بسهولة. قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾[3].

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ... فأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرءاً لم يحيَ بالعلم ميت ... فليس له حتى النشورِ نشور

فهدف الشيطان منذ البداية هو غواية الإنسان، قال لربنا: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾[4]، ومن إيذائه للإنسان تخبطه عند الموت، وقد كان الرسول ﷺ يستعيذ فيقول: «**اللهم إنّي أعوذ بك من التردي، والهرم، والغرق، والحريق، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرًا، وأعوذ بك أن أموت لديغاً**»[5].

لذا؛ فإن مشيئة الرحمن هي ابتلاء الإنسان وامتحانه، ولكي يثبت الإنسان في هذا الابتلاء ويكون على بصيرة من أمره فقد زوده الله سبحانه بالعقل والإرادة، وأرشده إلى طريق صلاحه، وحذّره من مكر الشيطان وفتنته ووساوسه، وقد ورد بيان ذلك في آيات قرآنية كثيرة، منها قوله

---

(١) سورة العلق، الآيات: ١-٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٣١.
(٣) سورة الكهف، الآيات: ١٠٣-١٠٤.
(٤) سورة الأعراف، الآيات: ١٦-١٧.
(٥) رواه أبو داود ح(١٥٥٢)، والنسائي ح(٥٥٣١) من حديث أبي اليسر رضي الله عنه، وصححه الألباني.

تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢﴾[3].

لذا سمى الله طاعة الشيطان عبادة له؛ لأنها انقياد وخضوع لوساوسه، واستجابة لإيحاءاته ونزغاته، وتصديق لأمانيه الكاذبة، مع أنه عدو ينبغي الحذر منه والتحرس من شروره، وقد أضلَّ خلقاً كثيراً، أفلا يكون في ذلك عبرة لأصحاب العقول السليمة؟!

أسباب تمكين الشيطان من إفساد النفوس:

أولاً: خلق الله الناس على الفطرة التي تتجه للإيمان بالله وحده، فقال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدۡنَآۛ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾[5].

وحديث رسول الله ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه، كما تَنْتُجُ البهيمةُ بهيمةً جمعاء[6] هل تحسّون فيها من جَدْعاء[7]**»[8].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٦.
(٣) سورة يس، الآيات: ٦٠-٦٢.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.
(٥) سورة الروم، الآية: ٣٠.
(٦) الجمعاء: سليمة الأطراف مجتمعة الأعضاء.
(٧) الجدعاء: مقطوعة الأذن أو غيرها من الأعضاء.
(٨) رواه البخاري ح(١٣٥٨)، ومسلم ح(٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لكن؛ كيف يوسوس إبليس؟

في حديث عياض المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا... وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا**»(١).

روى الإمام أحمد أثراً عن أُبي بن كعب، في قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ﴾(٢) قال: «جمعهم فجعلهم أرواحاً، ثمّ صورهم، فاستنطقهم فتكلموا، ثمّ أخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم: ألستُ بربكم؟ قال: فإني أُشهِدُ عليكم السموات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة: لم نعلم بهذا، اعلموا أنه لا إله غيري، ولا ربّ غيري، فلا تشركوا بي شيئاً، وإني سأرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي، قالوا: شهدنا بك ربنّا وإلهنا، لا ربّ لنا غيرك، فأقروا بذلك»(٣).

كشف الله ﷻ لعباده عن أساليب الشيطان في الغواية وأسلحته وجنوده الذين يستعين بهم في إضلال الناس.

ومن أبرز هذه الوسائل والأسلحة:

١ ـ استغلاله لأهواء النفس وأمراض القلب:

قال تعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾(٤)، ويقول تعالى: ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟

(١) رواه مسلم ح(٢٨٦٥).
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.
(٣) رواه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند ح(٢١٢٣٢).
(٤) سورة الحج، الآية: ٥٣.

يَعْمَلُونَ﴾[1]، فكيف يدخل الشيطان على الإنسان؟

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ: وإنما يدخل على الناس بقدر ما يمكنُهُ، ويزيد تمكّنه منهم ويقلّ على مقدار يقظتهم، وغفلتهم، وجهلهم، وعلمهم.

واعلم أن القلب كالحصن، وعلى ذلك الحصن سور، وللسور أبواب، وفيه ثُلَمٌ ـ أي ثغرات ـ وساكنه العقل، والملائكة تتردّد إلى ذلك الحصن، وإلى جانبيه ربض فيه الهوى والشياطين، تختلف إلى ذلك الربض من غير مانع، والحرب قائمة بين أهل الحصن وأهل الربض، والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم، فينبغي للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذي قد وُكِلَ حفظه، وجميع الثلم، وأن لا يفتر عن الحراسة لحظة، فإن العدو لا يفتر!

قال رجل للحسن البصري: أينام إبليس؟ قال: لو نام لوجدنا راحة.

وهذا الحصن مستنير بالذكر، مشرق بالإيمان، وفيه مرآة صقلية يتراءى فيها صور كل ما يمر به، فأول ما يفعل الشيطان في الربض إكثار الدخان، فتسودّ حيطان الحصن، وتصدأ المرآة، وللعدو حملات، فتارة يحمل فيدخل الحصن، فيكر عليه الحارس فيخرج، وربما دخل فعاث ـ أي أفسد ـ وربما أقام لغفلة الحارس، وربما كدت الريح الطاردة للدخان فتسود حيطان الحصن، وتصدأ المرآة، فيمر الشيطان ولا يدري به، وربما جُرح الحارس لغفلته وأُسر واستُخدم، وأقام يستنبط الحيل في موافقة الهوى ومساعدته، وربما صار كالفقيه في الشر.

قال بعض السلف: رأيت الشيطان فقال لي: كنت ألقى الناس فأعلمهم فصرت ألقاهم فأتعلم منهم!

وربما هجم الشيطان على الذكي الفطن ومعه عروس الهوى قد جلّاها، فيتشاغل الفطن بالنظر إليها فيستأسره.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٤٣.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأقوى للقيد الذي يوثق به الأسرى: الجهل، وأوسطه في القوة: الهوى، وأضعفه: الغفلة.

ومادام درع الإيمان على المؤمن فإن نبل العدو لا يقع في مقتل.

إنّ الشيطان لا يدخل إلا على ذي القلب الخالي من الذكر والتقوى والإخلاص واليقين، فيلقي وساوسه فتجد المحل خالياً فتتمكن منه وتستقر فيه، كما قيل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكّنا

وأما إذا كان القلب عامراً بالإيمان مسربلاً بالتقوى، محصناً بالذكر، فلا يكون للشيطان عليه سلطان، ولا إليه سبيل[1].

والطامة الكبرى إذا كان القلب محشواً بالهوى والشهوة، فهما قوت الشيطان فلا يمكن دفعه، وهذا كمثل كلب جائع مرّ برجل بين يديه لحم، فكلما زجره لم ينته، فإذا رفع اللحم من بين يديه يئس الكلب وانصرف، كذلك صاحب القلب المليء بالشهوات فلا بد أن يطهره أولاً منها، ثم يعمره بالتقوى، وفي هذه الحالة إذا قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، انصرف عنه الشيطان.

ومن فهم هذا عرف سبب قلة جدوى الاستعاذة عند كثير من الخلق، فليست الاستعاذه مانعة للشيطان إلا إذا كان قلب المستعيذ خالياً من قُوت الشيطان وعامراً بالتقوى والإيمان، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾[2].

● القلوب المريضة التي تحكمت فيها الشهوات والأهواء سرعان ما

---

(١) بالي، وحيد بن عبد السلام، وقاية الإنسان من الشيطان، مصر، دار ابن رجب، طبعة ١١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص١٤٥-١٤٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١، فهذه الآية خاصة بالمتقين دون غيرهم.

تتأثر بوساوس الشيطان وتستجيب لفتنته؛ فتزداد مرضاً على مرض، وأما القلوب السليمة فإنها تتحصن من شروره.

● لذا تستجيب النفس الأمارة بالسوء لداعي الشيطان، ويستغل الشيطان الهوى ليبث وساوسه، وتخون النفس صاحبها في صف ألد أعدائه، فهذا هو الخطر المحدق المهدد بالهلاك.

٢ ـ التزيين والخداع:

أشار الله ﷻ إلى خداع الشيطان بقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾[1].

وهذا ما فعله إبليس مع آدم وحواء عليهما السلام، لقوله تعالى: ﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾[2].

٣ ـ التدرج في الإغواء:

الشيطان يتقن حيلة التدرج والالتفاف في إغواء العباد، وهي الحيلة التي يصطاد بها كثيراً من الناس وهم لا يشعرون، ولا يجد مدخلاً موصداً إلا تسرب من مدخل آخر، حتى لا يدع جهة أو طريقاً يصد بها العبد عن طاعة ربه إلا سلكها.

وقد فصَّل الإمام ابن القيِّم رحمه الله في كتاب مدارج السالكين في الحديث عن المكر الشيطاني الذي قلَّما يسلم منه البشر، فبيَّن أن الشيطان يقف للإنسان في سبع عقبات[3].

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٣٩.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٠-٢١.

(٣) مدارج السالكين، ج١، ص ٢٢٢-٢٢٧، وكتاب تلبيس إبليس للإمام ابن الجوزي حيث يكشف خبايا المكائد الشيطانية، ص٣٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فعليكِ أن تتعلمي مداخل الشيطان، وكيفية الوقاية منها.

أما أمراض القلب وأمراض النفس فالهوى أكبر عدو للنفس بعد الشيطان، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾[1] ويقول تعالى: ﴿...وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[2] ويقول تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾[3] ويقول تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[4].

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٣) سورة القصص، الآية: ٥٠.

(٤) سورة النازعات، الآيات: ٤٠-٤١.

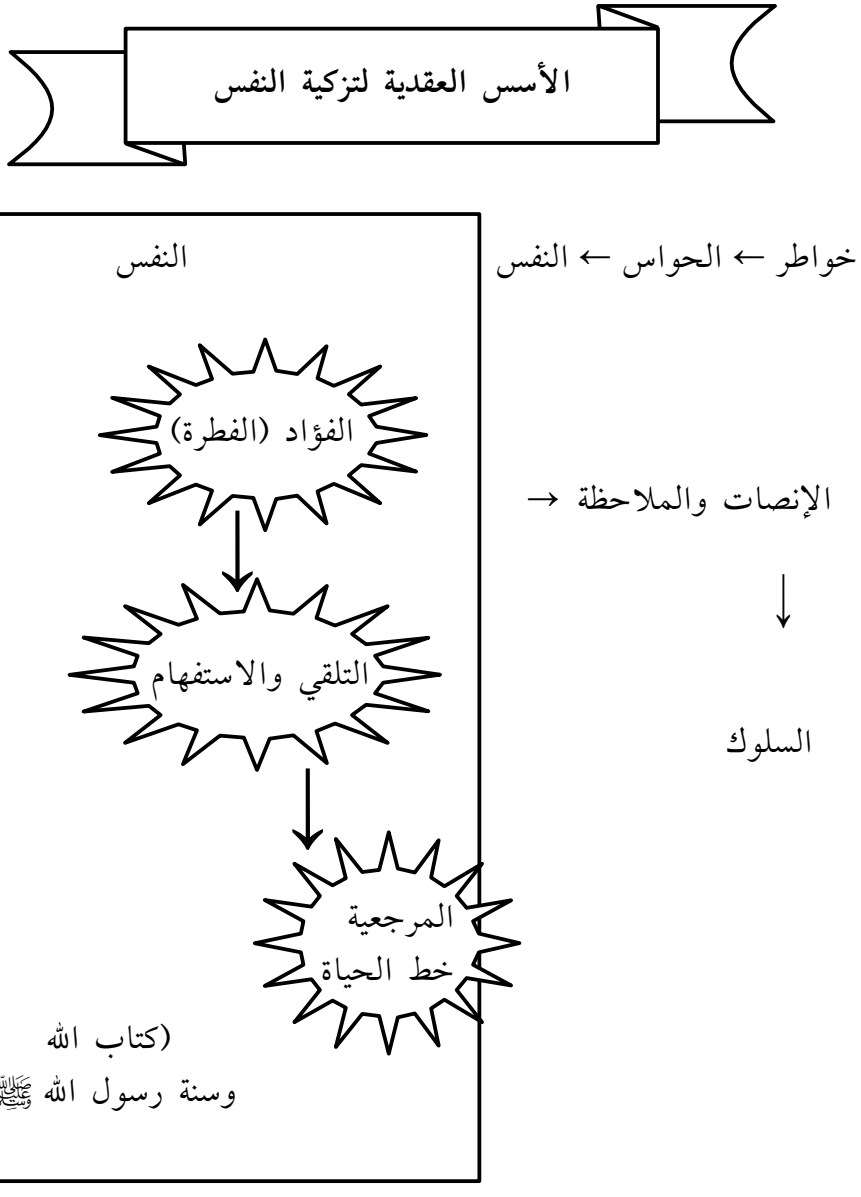
الأسس العقدية لتزكية النفس
النفس
خواطر ← الحواس ← النفس
الفؤاد (الفطرة)
الإنصات والملاحظة →
التلقي والاستفهام
السلوك
المرجعية
خط الحياة
(كتاب الله
وسنة رسول الله ﷺ)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تبنى العقيدة الإسلامية على ثلاثة عناصر هي:

١ ـ العنصر الفكري.

٢ ـ العنصر الوجداني.

٣ ـ العنصر السلوكي.

الفروض العينية والكفائية:

الفرض: هو ما طلب الشارع فعله من المكلف طلباً حتماً. وحكمه أنه يلزم الإتيان به، ويثاب فاعله ويعاقب تاركه، ويكفر من أنكره إذا ثبت ثبوتاً قطعياً.

١ ـ فرض عيني ٢ ـ فرض كفائي.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

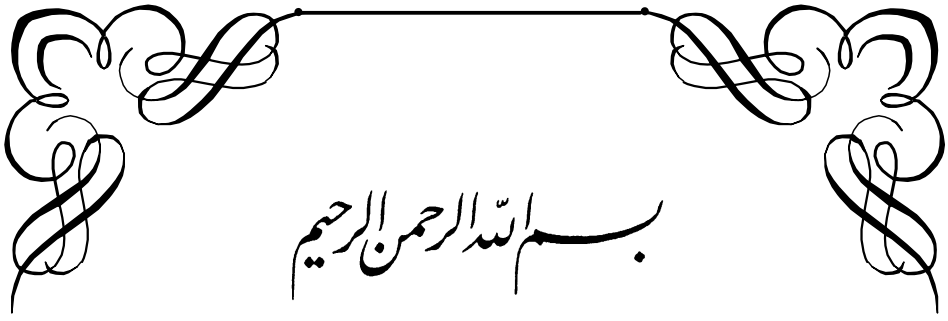

تعريف المصطلحات الأربعة

الحمد لله ربّ العالمين، حمداً كثيرًا طيبًا مباركًا فيه..

يا ربّ قد عجز الطبيب فداونا، يا رب قد عمّ الفساد فنجنا، يا رب قلّت الحيلة فتولَّنا، ارفع مقتك وغضبك عنّا، ولا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ولا تحاسبنا بما فعل السفهاء منا، يا ربّ اغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، واقبل توبتنا، وأصلح قلوبنا، وارحم ضعفنا، وتولّ أمرنا، واستر عوراتنا، وآمن روعاتنا، وآمنَّا في أوطاننا، وبلّغنا ما يرضيك عنا، واختم بالصالحات أعمالنا!

وأشهد أن محمدًا عبدك ورسولك، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

بداية؛ نعرّج على بعض المصطلحات، حتى إذا ذكرت فيما بعد تكون واضحة بإذن الله.

هذه التعريفات يجب أن نحفظها عن ظهر قلب، ألا وهي:

الدين ـ الإسلام ـ الرب ـ الإله

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾[1].

وقد استجاب الله دعاءهما، فبعث من بني إسماعيل رسولاً، هو محمد خاتم النبيين ﷺ.

فرسول الله ﷺ دعوة إبراهيم عليه السلام وبشارة عيسى عليه السلام.

ما دين سيدنا إبراهيم عليه السلام؟

قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ۖ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾[3].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٢٧- ١٢٩.
(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٣٠-١٣٢.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٢٥

فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾[1].

من محبة إبراهيم عليه السلام للمسلمين، أنه اختار لهم اسمهم من قبل ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾، إنّ هذا الاسم أصيل عريق ممتد في التاريخ، ضارب في جذوره، وليس اسماً عارضًا حادثًا.

هم مسلمون، والأنبياء كلهم مسلمون، وأتباع الأنبياء الذين قبلهم مسلمون.

دين إبراهيم عليه السلام هو الإسلام (حنيفًا مسلمًا) وهذا دين ابنه اسماعيل عليه السلام.

هذا هو شعار رسول الله ﷺ منذ دعوة إبراهيم عليه السلام.

١ ـ الدين:

تستعمل كلمة الدين في كلام العرب بعدة معاني[2]:

● القهر والسلطة والحكم والأمر والإكراه على الطاعة، واستخدام القوة القاهرة فوقه، وجعله عبدًا مطيعًا، فيقولون (دان الناس) أي قهرهم على الطاعة، وجاء في الحديث النبوي: «**الكَيِّسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت**»[3] أي قهر نفسه وذللها، ومن ذلك يقال (ديّان) للغالب القاهر على قُطرٍ أو أمة أو قبيلة، والحاكم عليها.

● الطاعة والخدمة والتسخير، أي الائتمار بأمر أحد، وقبول الذلة والخضوع تحت غلبة أحد وقهره. وبهذا المعنى قال رسول الله ﷺ: «**إنِّي**

---

(١) سورة الحج، الآيات: ٧٧- ٧٨.

(٢) ينظر: ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، (١٧/ ٢٤ - ٣٠).

(٣) رواه الترمذي ح(٢٤٥٩)، وابن ماجه ح(٤٢٦٠)، وأحمد ح(١٧١٢٣) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه، وضعفه الألباني والأرناؤوط.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أُرِيدُ مِنْهُمْ ـ أي: قريش ـ **كَلِمَةً وَاحِدَةً تَدِينُ لَهُمْ بِهَا العَرَبُ»**[1]، أي: تطيعهم وتخضع لهم.

● الشرع والقانون والطريقة والمذهب والملة والعادة والتقليد، أي من كان على طريقة وعادات اتبعها (قوم)، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾[2]، أي: في شريعة الملك وقانونه.

● الجزاء والمكافأة والقضاء والحساب، فمن أمثال العرب: كما تَدِين تُدان، ومنه قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[3]، أي: الحساب والمجازاة بالأعمال[4].

استعمال كلمة دين في القرآن الكريم:

إنّ كلمة (الدين) قائم بنيانها على معان أربعة:

أولاً: القهر والغلبة من ذي سلطة عليا.

ثانياً: الطاعة والتعبد والعبدية من قبل خاضع لذي السلطة.

ثالثًا: الحدود والقوانين والطريقة التي تتبع.

الرابع: المحاسبة والقضاء والجزاء والعقاب.

كلمة (الدين) في القرآن تقوم مقام نظام بأكمله، يتركب من أجزاء أربعة، هي:

١ ـ الحاكمية والسلطة العليا.

---

(١) رواه الترمذي ح(٣٢٣٢)، وأحمد ح(٢٠٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وضعفه الألباني والأرناؤوط، وصححه أحمد شاكر رحمهم الله تعالى.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٧٦.

(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٤.

(٤) ينظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد ومحمود شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠ه، ٢٠٠٠م، ج١/ ص١٥٥.

٢ ـ الإطاعة والإذعان لتلك الحاكمية والسلطة.

٣ ـ النظام الفكري والعملي والمتكون تحت سلطان تلك الحاكمية.

٤ ـ المكافأة التي تكافئها السلطة العليا على اتباع ذلك النظام والإخلاص له، أو على البغي عليه والعصيان له.

الدين بالمعنى الأول والثاني:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾[1].

﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾[2].

﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾﴾[3].

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[4].

﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾[5].

في جميع هذه الآيات وردت كلمة (الدين) بمعنى السلطة العليا، ثم الإذعان لتلك السلطة وقبول إطاعتها وعبديتها، والمراد بإخلاص الدين لله ألا يسلم المرء لأحد من دون الله بالحاكمية والحكم والأمر، ويخلص طاعته وعبديته لله تعالى إخلاصًا لا يتعبد بعده لغير الله ولا يطيعه إلا طاعةً لله.

---

(١) سورة غافر، الآيات: ٦٤ - ٦٥.
(٢) سورة الزمر، الآيتان: ١١ ـ ١٢.
(٣) سورة النحل، الآية: ٥٢.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.
(٥) سورة البينة، الآية: ٥.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الدين بالمعنى الثالث:

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[2].

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾[3].

فالمراد بالدين في جميع هذه الآيات هو **القانون والحدود والشرع والطريقة والنظام الفكري والعملي** الذي يتقيد به الإنسان.

فإن كانت السلطة التي يستند إليها المرء لاتباعه قانونًا من القوانين أو نظامًا من النظم **سلطة الله** فالمرء لا شك في دين الله ﷻ، وأما إن كانت تلك السلطة سلطة ملك من الملوك، فالمرء في دين الملك، وإن كانت سلطة المشايخ والقسوس فهو في دينهم. وكذلك إن كانت تلك السلطة سلطة العائلة أو العشيرة أو جماهير الأمة فالمرء لا جرم في دين هؤلاء، وموجز القول أن من **يتبع قانون أحدٍ وشرعته ويجعل حكمه فوق كل حكم، فإنه ـ لا شك ـ بدينه يدين.**

الدين بالمعنى الرابع:

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾﴾[4].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾﴾. . . .[5].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٤٠.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٣) سورة الكافرين، الآية: ٦.

(٤) سورة الذاريات، الآيات: ٥ - ٦.

(٥) سورة الانفطار، الآيتان: ١٧، ١٨.

الديــن: المصطلح الجامع الشامل:

يستعمل القرآن كلمة الدين مصطلحًا جامعًا شاملاً يريد به نظامًا للحياة يذعن فيه المرء لسلطة عليا لكائن ما، ثم يقبل إطاعته واتباعه ويتقيد في حياته بحدوده وقواعده وقوانينه، ويرجو في طاعته العزة والترقي في الدرجات وحسن الجزاء، ويخشى في عصيانه الذلة والخزي وسوء العقاب.

قال تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾[1].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾[4].

المراد بالدين في جميع هذه الآيات هو نظام الحياة الكامل الشامل لنواحيها الاعتقادية والفكرية والخلقية والعملية. وإن نظام الحياة الصحيح المرضي عند الله تعالى هو النظام المبني على طاعة الله وعبديته. وأما ما سواه من النظم المبنية على إطاعة السلطة المفروضة من دون الله، **فإنه مردود عنده**، وذلك لأن الإنسان مخلوق من مخلوقاته.

٢ ـ معنى كلمة الإسلام:

إذا راجعنا معاجم اللغة، علمنا أن معنى كلمة الإسلام هو «الانقياد والامتثال لأمر الآمر ونهيه بلا اعتراض». وقد سمي ديننا بالإسلام، لأنه طاعة لله، وانقياد لأمره بلا اعتراض.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حقيقة الإسلام:

من المعلوم أن كل شيء في هذا الكون، منقاد لقاعدة معينة، وقانون خاص. فالشمس والقمر والنجوم مسخرات تحت قاعدة مطردة، لا قبل لها بالحراك عنها والخروج عليها ولو قيد شعرة، والأرض تدور حول قطبها، ولا يدب في ما قُدّر لها من الزمن والحركة والطريق، دبيب التغيير والتبدل. والماء والهواء والنور والحرارة كلها مذعنة لنظام خاص. . وللجمادات والنباتات والحيوانات ضابطة، لا تنمو ولا تنقص ولا تحيا ولا تموت إلا بموجبها. حتى إن الإنسان نفسه إذا تدبرت شأنه، تبين لك أنه مذعن لسنن الله إذعاناً تاماً، فلا يتنفس ولا يحس حاجته إلى الماء والغذاء والنور والحرارة إلا وفقاً لقانون الله المنظم لحياته. ولهذا القانون نفسه ينقاد قلب الإنسان في حركته، ودمه في دورانه، ونفسه في دخوله وخروجه، وله تستسلم جميع أعضاء جسده كالدماغ والمعدة والرئة والأعصاب والعضلات واليدين والرجلين واللسان والعينين والأنف والأذن.

فهذا القانون الشامل، الذي يستسلم له ولا ينفك عن طاعته شيء في هذا الكون، من أكبر سيارة في السماء، إلى أصغر ذَرّة من الرمل في الأرض، هو من وضع ملك جليل مقتدر.

فإذا كان كل شيء في السماوات وما بينهما منقاداً لهذا القانون، فإن العالمَ كله مطيع لذلك الملك المقتدر الذي وضعه، ومتبع لأمره، ويتبيّن من هذه الوجهة، أن الإسلام دين الكون طراً، لأن الإسلام معناه الانقياد والامتثال لأمر الآمر ونهيه بلا اعتراض كما عرفت آنفاً. فالشمس والقمر والأرض مسلمة، والهواء والماء والنور والظلام والحرارة مسلمة، والشجر والحجر والأنعام مسلمة، بل إنّ الإنسان الذي لا يعرف ربه ويجحد وجوده وينكر آياته، أو يعبد غيره، ويشرك به سواه، هو مسلم من حيث فطرته التي فطر عليها. وذلك أنه لا يولد ولا يحيا ولا يموت، إلا وفقاً لما وضع الله تعالى من قانون، لولادته وحياته وموته. وكذلك كل أعضاء

جسده، لا تدين إلا دين الإسلام، لأنها لا تنشأ ولا تكبر ولا تتحرك إلا حسب هذا القانون الإلهي نفسه.

للإنسان في حياته جهتان مختلفتان:

الأولى: أنه منقاد لقانون الفطرة مجبول على اتباعه.

والأخرى: أنه أوتي العقل وقوة الفهم والتأمل والرأي، فهو يسلم بشيء وينكر آخر، ويحب طريقاً ويكره غيره، ويضع من تلقاء نفسه ضابطة لمختلف نواحي الحياة، أو يقبل ما وضعه غيره من نظام للحياة، فهو غير مقيد من هذه الجهة، بل قد أوتي حرية الفكر وحرية الاختيار في الرأي والعمل.

فمن الجهة الأولى هو مسلم قد جبل على الإسلام وفطر على التزامه، شأن غيره من المخلوقات في هذا الكون، وقد عرفت ذلك آنفاً.

ومن الجهة الأخرى هو بالخيار في كونه مسلماً أو غير مسلم.

وهذه الخيرة هي التي تؤهله ليكون مسلماً كاملاً، يعرف خالقه، ويؤمن به رباً ومالكاً وسيداً، ويتبع قانونه الشرعي في حياته الاختيارية، كما هو تابع لقانونه الطبيعي في حياته الجبرية، وهذا هو المسلم الكامل الذي قد استكمل إسلامه، لأن حياته أصبحت الآن الإسلام بعينه، وهو قد استسلم ـ رغبة وطواعية ـ للذي كان يطيعه وينقاد لقانونه من غير شعور من قبل، وقد أصبح الآن ـ قصداً وعمداً ـ مطيعاً لربه الذي كان قبل ذلك يطيعه من غير قصد ولا إرادة، وقد أصبح علمه صادقاً، لأنه عرف الله خالقه وبارئه الذي أولاه قوة العلم والتعلم، وأصبح عقله ناضجاً ورأيه سديداً؛ لأنه أعمل فكره ثم قضى ألا يعبد إلا الله الذي أكرمه بموهبة الفهم والرأي في الأمور، وأصبح لسانه صادقاً ناطقاً بالحق، لأنه لا يقر الآن إلا برب واحد هو الله تعالى، الذي أنعم عليه بقوة النطق والكلام... فكأن حياته ما بقي فيها الآن إلا الصدق، لأنه منقاد لقانون الله فيما له الخيرة فيه من أمره، وامتدت بينه وبين سائر المخلوقات في الكون آصرة التعارف والتآنس، لأنه لا يعبد إلا الله الحكيم العليم، الذي تعبده

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتذعن لأمره وتنقاد لقانونه المخلوقات كلها، فهو الآن خليفة الله[1].

معنى ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[2]:

ومعنى الدين في هذا الموضع: الطاعة والذِّلة، مِنْ قول الشاعر:

وَيَوْم الحُزن إذ حَشَدَت مَعَدّ وَكانَ النَّاس إلا نحنُ ديناً

يعني بذلك: مطيعين على وجه الذُّلّ.

الدين: الطاعة، وكذلك الإسلام، وهو الانقياد بالتذلل والخشوع، والفعل منه أسلم. وهو الانقياد بالخضوع وترك الممانعة. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾: إن الطاعة التي هي الطاعة عنده الطاعة له، وإقرار الألسن والقلوب له بالعبودية والذلة، وانقيادها له بالطاعة فيما أمر ونهى، وتذللها له بذلك من غير استكبار عليه ولا انحراف عنه دون إشراك غيره من خلقه معه في العبودية والألوهية .**فإذا كانت طاعة المرء تابعة لإطاعة الله تعالى، ومتضمنة فيما قد رسم لها من الحدود فإنها عين إطاعة الله**، فطاعة الولد لوالده وإطاعة المرأة لزوجها، وإطاعة الخادم لسيده وما شاكلها من الإطاعات، إن كانت بأمر من الله ومتضمنة فيما قد وضع لها من الحدود، فهي طاعة لله، وأما إذا كانت خارجة عن تلك الحدود أو مستقلة بذاتها، فإنها البغي والعصيان. فجميع القوانين في أي نظام يجب أن تكون مبنية على ما جاء من عند الله عزّ وجلّ، وهي إذا قامت بإنفاذ حكم الله في أرضه، فإن إطاعتها واجبَة، وإن لم تكن كذلك؛ بل كان أساسها القوانين الوضعية؛ فإن إطاعتها جريمة!

٣ ـ أما الإله:

فإنَّ: أَلَهَ يَأْلَهُ إِلْهَةً، تُسْتَعْمَلُ بمعنى العبادة، أَي التَأَلُّه، والإِله بمعنى الْمَعْبود، وهذا يتضمن معانٍ عدة:

(١) المودودي، أبو الأعلى، مبادىء الإسلام، دار العربية، ط ٦، د.ت.، ص ٤-٨.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

١ ـ ما كانَ لإنسانٍ أَنْ يَخْطُرَ ببالِه أَنْ يَعْبُدَ أَحداً مالم يَظُنَّ فيه أَنه قادِرٌ على أَنْ يَسُدَّ حاجَتَهُ وأن يَنْصُرَه على النوائب، ويُؤْويهِ عِنْدَ الآفات، وعلى أَنْ يَسَكِّنَ رَوْعَهُ حينَ القَلقِ والاضراب.

٢ ـ وكذلكَ يَعْتَقِدُ الْمَرْءُ أَنَّ أحداً ما قاضٍ للحاجات، ومجيبٌ للدعوات، لا يَسْتَلزِمُ أنْ يَعُدَّه أعلى منه مَنْزِلَةً فَحَسْب، بل أَنْ يَعْتَرِفَ كذلك بِعُلُوِّه وغَلَبَتِه في القُوةِ والأَيد.

٣ ـ والمعبودُ مَنْ كانَتْ مَقْدِرَتُهُ على قضاءِ الحوائج، وتأثيرُه في إِتْمامِ الأُمور، تَحْتَ أَستارِ الخَفاء، فتتضمنُ معانيَ الاحتجابِ والحَيرةِ والوَلَه، مَعَ اشتمالِها على مَعْنى الرِّفْعَةِ والعُلوّ.

٤ ـ أَنْ يتّجِهَ الإنسانُ في شوقٍ وَوَلعٍ إلى مَنْ يَظُنُّ فيه أَنه قادِرٌ على أَنْ يَقْضِيَ حاجاتِه إذا احتاج، وعلى أَنْ يُؤْوِيَهُ إذا نابَتْه النوائب، ويُهَدِّيءَ أعصابَه عِنْدَ القلق.

فكلمة (الإله) إذاً تتضمن في معناها: قضاء الحاجات، والإجارة، والتهدئة، والتعالي، والهيمنة، وتملك القوى والصلاحيات التي يرجى بها أن يكون المعبود قاضيًا للحاجات، مجيرًا في النوازل، وأن يكون متوارياً عن الأنظار يكاد يكون سرًا من الأسرار لا يدركه الناس، وأن يفزع إليه الإنسان ويولع به.

ولنلحظْ هنا تصور (الإله) عند أهل الجاهلية كما ذكره القرآن الكريم:

١ ـ ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾﴾[1].

٢ ـ ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾﴾[2].

٣ ـ ﴿...فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا

(١) سورة مريم، الآية: ٨١.
(٢) سورة يس، الآية: ٧٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾[1].

٤ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾[2].

٥ ـ ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾[3].

٦ ـ ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾[4].

٧ ـ ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ﴾[5].

٨ ـ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾[6].

٩ ـ وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾[7].

١٠ ـ ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾[8].

---

(١) سورة هود، الآية: ١٠١.
(٢) سورة النحل، الآيات: ٢٠-٢٢.
(٣) سورة القصص، الآية: ٨٨.
(٤) سورة يس، الآيات: ٢٢-٢٣.
(٥) سورة الزمر، الآية: ٣.
(٦) سورة يونس، الآية: ١٨.
(٧) سورة النحل، الآية: ٥١.
(٨) سورة التوبة، الآية: ٣١.

١١ ـ ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾[١].

١٢ ـ ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[٢].

فكل ما تأتونه من الأفعال معتقدين غيره إلهاً خطأ وباطل من أساسه، سواء أكان ذلك دعاؤكم إياه واستجارتكم به أم كان خوفكم إياه ورجاؤكم له، أم كان اتخاذكم إياه شافعًا لدى الله، أم كان إطاعتكم له وامتثالكم لأمره؛ فإنَّ هذه الأواصر والعلاقات التي قد عقدتموها مع غير الله، يجب أن تكون مختصة بالله سبحانه، لأنه هو الذي يملك السلطة دون غيره.

وأما الأسلوب الذي يستدل به القرآن الكريم في هذا الباب، فدونك بيانه في كلامه البليغ المعجز:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾[٣].

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ﴾[٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾[٥].

إذاً؛ الألوهية مشتقة من التألُّه وهو التعبد والتنسُّك، والتأليه هو التعبيد، وكثير من الناس يطلقون كلمة الإله بمعنى الربّ، وهذا غلط ينشأ عنه أغاليط لدى تفسير النصوص، فمعنى لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله، أو لا معبود يستحق أو يجوز أن يعبد إلا الله، أمّا الربّ فهو متصف بصفات الربوبية.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٤٣.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٢١.
(٣) سورة الزخرف، الآية: ٨٤.
(٤) سورة النحل، الآيات: ١٧، ٢٠، ٢٢.
(٥) سورة فاطر، الآية: ٣.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فالذين يعبدون إلهاً من دون الله هم على أصناف ثلاثة:

الصنف الأول: الذين يؤمنون بالله الرب العليّ الأعلى وهم معتقدون ربوبيته ولكنهم مشركون شرك عبادة. وهذا شرك في الألوهية:

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾[1].

فهم يتألهون هذه الأرباب بزعم أنها تقربهم من الرب الأعلى، رب الأرباب بزعمهم، وهم كاذبون مفترون على الله الكذب.

الصنف الثاني: الذين يعتقدون أن من يعبدونهم من دون الله يشاركون الله في ربوبيته، ولو بالتصرف في بعض أحوال العباد، دون بيان من الله أو إذن بكتاب منزّل من لدنه. وهؤلاء شركهم أشد وأقبح، فهؤلاء يعتقدون في شركائهم أنهم ينفعونهم ويدفعون الضرر عنهم، أو ينزلون الضرر بخصومهم، فهم مشركون في الربوبية وفي الألوهية.

الصنف الثالث: الذين يعتقدون فيمن يعبدونهم أنهم هم الأرباب، وأنه لا خالق للسموات والأرض ولا متصرف فيهما سوى أربابهم التي يعبدونها، فمنهم أهل التثنية، وهؤلاء الملاحدة الماديون الذين يجحدون وجود الربّ.

٤ ـ الربّ:

كلمة هى في الأصل مصدر فعل ربّ.

الربّ، والتربية، والترييب مصادر لأفعال مختلفة في صيغها ومعناها واحد: وهو الإنشاء المتدرج للشيء حياً كان أو غير ذي حياة، وتعهد

(١) سورة الزمر، الآية: ٣.

الشيء حالاً فحالاً، وطوراً فطوراً، بحسب فطرته واستعداداته، فيشمل هذا التعهد بعموم معناه: التغذية، والتنمية، والإرشاد، والإصلاح، والتقويم، والحفظ، والرعاية، والتأديب، والتهذيب، والتعليم إذا كان المربي يحتاج تأديباً أو تهذيباً أو تعليماً، ويشمل الإمداد المستمر بما يحتاج إليه لبقائه وسلامته، إلى غير ذلك من المفاهيم.

وهذه التربية تتناول الأحياء والنباتات والأشياء غير ذات الحياة من كل ما يحتاج لبقائه أو سلامته تعهداً وإمدادًا، أو رعاية وحفظًا.

ربّ العالمين ـ وربّ كل شيء ـ وربّ السموات والأرض ـ وربّ السموات السبع ورب العرش العظيم ـ وربّ الشعرى ـ وربّ المشرق والمغرب ـ ورب المشرقين والمغربين ـ وربّ الفلق ـ وربّ الناس ـ وربّ البيت (أي الكعبة).

فبكونه جلّ وعلا ربًّا خالقًا يخلق وفق نظام التربية الذي اختاره لعمليات خلقه، وبكونه ربًّا رازقًا يمد مخلوقاته بأرزاقها، وبكونه رحماناً رحيماً يعامل مربوبيه برحمته، وهو بسلطانه على مربوبيه مالِكُهُمُ والمهيمن عليهم، وهو بكونه ربّاً خالقاً لا بد أن يكون قادراً مقتدراً عزيزاً يفعل ما يشاء ويختار، وهو بكونه ربّاً يغفر ويعفو عن المذنبين، ويراقب ويحاسب، ويحكم بالعدل وينتقم، ويجيب سؤال السائلين، يحيي ويميت، ويبعث ليوم الحساب.

ومن حديث رسول الله ﷺ:

«مَنْ قَالَ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»[1]؛ لأن هذا الدعاء هو الإجابَة عن الأسئلة التي ستلقى على الإنسان في القبر، وهي كالتالي:

(١) رواه أبو داود في السنن، ح(١٥٢٩)، واللفظ له، ومسلم في الصحيح، ح(١٨٨٤) بنحوه، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

- مَنْ ربُّك؟
- ما دينُك؟
- مَنْ هذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكم؟

فإن استطعت الإجابة عن هذه الأسئلة يقال لكِ: صدقتِ، ويفسح لهذا الإنسان في قبره، ويأتيه عمله الصالح في صورة رجل جميل الهيئة، ليخبره أنه عمله الصالح.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

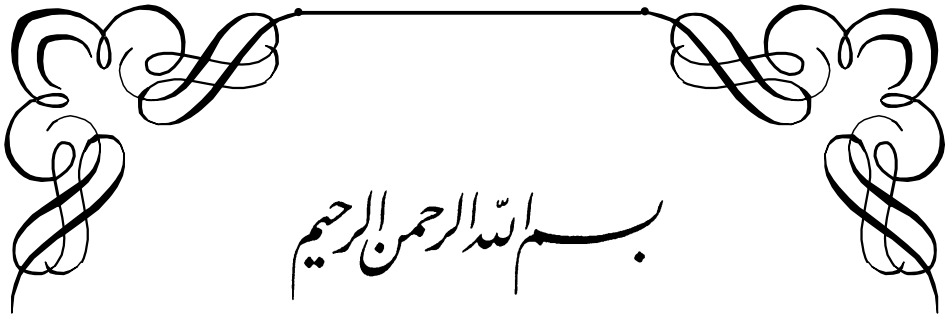

الموت أول منازل الآخرة

*** تعريف الموت:**

الموت في اللغة(١):

هو ضد الحياة، مات الحيُّ، موتاً: فارقته الحياة، وسكنت حركته.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾(٢).

الموت شرعاً:

هو مفارقة الروح للجسد، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾(٣).

الحديث عن الموت، أو انتهاء الحياة، حديث يمكن أن يُلَخَّصَ في سطور قليلة، فالموت كما قلنا خلقٌ من خلق الله، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾(٤)

---

(١) ينظر: القاموس المحيط، المعجم الوجيز، لسان العرب، مادة: موت.

(٢) سورة الملك، الآية: ٢.

(٣) سورة القيامة، الآيات: ٢٦ - ٣٠.

(٤) سورة الملك، الآية: ٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولعلنا نلاحظ أن الحق سبحانه وتعالى قد قدم في هذه الآية الموت على الحياة، فقال سبحانه: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾، ولسائل أن يسأل: لماذا قدم الله سبحانه وتعالى الموت على الحياة؟ لعل ذلك لسببين:

السبب الأول: أنه يسبق الحياة، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾[1]، أي أن الموت يكون قبل الحياة، ومن هنا فهو سابق للحياة.

والسبب الثاني: أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يلفتنا إلى الموت، حتى إذا تذكرناه سارعنا إلى الخير والعمل الصالح، ولكننا لسنا في حاجة لمن يلفتنا إلى الحياة الدنيا، فدوافع الحياة متمكنة متأصلة في النفس البشرية، لتستطيع هذه النفس أن تؤدي مهمتها في الكون، وهي عمارة الأرض، ولكننا في غفلة عن الموت، فقد تمر سنوات دون أن نتذكر أننا سنموت وسنلقى الله[2].

إننا محتاجون دائماً لمن يلفتنا إلى الحقيقة، حقيقة الموت؛ حتى لا نحسب أننا أخذنا الحياة الدنيا اغتصاباً واقتدارًا، ولن نخرج منها.

والموت هو انتهاء الإرادة البشرية، فما دمت حيًا تستطيع أن تفعل كذا ولا تفعل كذا، ويكون لك اختيار بدائل، ولكن متى جاء الموت انتهى هذا الاختيار تمامًا، ولم يعد لك اختيار فيما سيُفعَل بك، أو سيقع عليك من أحداث، من لحظة الموت إلى يوم القيامة، والإرادة البشرية انتهت مهمتها في اختيارات الدنيا، وما دامت قد انتهت مهمتها فهي الأخرى لم يعد لها وجود.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨.

(٢) روى الترمذي في السنن ح(٢٣٠٧)، وصححه الألباني، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا ذكر هاذم اللذّات**» يعني الموت.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾[1].

فهل للموت مذاق وطعم يتذوقه الإنسان؟! هل له طعم مثل الطعام مثلاً؟

إن الذوق هو: الإحساس الصارخ الذي يحس به كيانك كله، فأنت مثلاً ترى بعينيك، وتسمع بأذنيك، وتلمس بيديك، وتشم بأنفك، ولكن الذوق باللسان هو الشيء الذي يستشعره الجسم كله، فيعطيك الإحساس باللذة وحلاوة الطعم بشهية، وتسري فائدته في الجسد كله.

إذاً؛ أراد الله أن يعطينا بها معنى الإحاطة، فكأن كل خلية من خلايا الجسد سيمسّها الموت، ويريد الله سبحانه وتعالى منا أن نلتفت إلى شمولية الأثر، فلا يؤثر الموت على الحواس فقط، ولا على العقل والقلب فقط، ولكنه يشمل كل خلية في جسد الإنسان وله تأثير عليها، وهي تحس به، وتتأثر به، وهذا هو المعنى الذي نفهمه من قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾.

إذن الموت ضد الحياة، وهو ليس بعدم محض، ولا فناءٍ صِرف، وحين يموت الإنسان تنقطع روحه عن بدنه، فتصّعد إلى الله تعالى، وتنطفئ الحياة من جسمه، وينتقل من حياة إلى حياة، ومن دار إلى دار.

والموت ليس شيئاً معدوماً، وإنما هو مخلوق موجود، فالانسان حينما يعود لا يعود إلى العدم، بل ينتقل إلى عالم آخر موجود.

فالموت ليس فناءً، بل هو عرض مؤقت، ينتقل فيه الإنسان من حال إلى حال، فلقد كان يوماً منطوياً على نفسه، مكوّماً في بطن أمه، يعيش بين أحشائها، ولو كان ينطق لحسب هذا الخروج موتاً ودفناً، مع أنه ولادة، والموت انتقال إلى عالم البرزخ، والبرزخ بين الدنيا الفانية والحياة الأخرى الباقية.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٥٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

*** سبب الموت:**

إن السبب الوحيد للموت بالنسبة لكل الخلق، هو انتهاء الأجل لا غير، فالله سبحانه وتعالى قدّر آجال الخلائق، بحيث إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ولا يستقدمون، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿...فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾(٣).
وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ﴾(٤).

فالمقتول إنما مات بسبب انتهاء أجله،فعِلمُ الله تعالى قدّر وقضى أنّ هذا يموت بسبب المرض، وهذا بسبب القتل، وهذا بسبب الحرق، وهذا بسبب الغرق، إلى غير ذلك من الأسباب. فالله سبحانه وتعالى خلق الموت والحياة، وخلق سبب الموت والحياة.

إن إخفاء موعد الموت عنا هو إعلام به:

أولاً: حتى نتوقعه في أي لحظة.

ثانياً: هو دافع لنا إلى عمل الخير والبعد عن المعاصي، وذلك رحمة من الله سبحانه بنا.

لماذا؟

لأننا لو عرفنا موعد أجلنا لظللنا طوال عمرنا في همّ، ذلك أنه

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٢.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦١.
(٣) سورة النحل، الآية: ٦١.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

عندما تتوقع بلاءً سيحدث لك، فإنك تعيش في هم عميق وأنت تنتظره، وفي كل يوم ستقول: لم يبق لي على الأرض إلا كذا، لم يبق لي لأترك أولادي إلا كذا، سأترك أولادي صغاراً لا يستطيعون مواجهة الحياة، وهكذا تبقى في هم وغم طوال حياتك، ولذلك رحمة من الله أخفى عنا موعد الموت لنستطيع أن نُقْبِل على الحياة بأمل أننا سنعيش.

ولكننا نعرف يقينًا أننا سنموت، وذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾[1].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، قال: فقال النبي ﷺ: «**قَدْ سَأَلْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ**»[2].

ويقول بعض العارفين: إن سهم الحياة وسهم الموت ينطلقان معًا، وإن ملك الموت في حالة بحث عن ذلك المكلف بقبض روحه، فلا يجده ولا يعثر عليه إلا ساعة يشاء الله تعالى لهذا الأجل أن ينتهي، ففي هذه الساعة يلتقي ملك الموت مع ذلك الذي انتهى أجله، ولكن قبلها لا يلتقيان أبدًا.

تترك جميع مالك إلا نصيبك الذي هو الكفن، ونحو هذا قول الشاعر:

نصيبُك مما تجمع الدّهرَ كلَّه ... رداءان تُلْوَى فيهما أو حنوطُ

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٨.

(٢) رواه مسلم في الصحيح، ح(٢٦٦٣).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال آخر:

هي القناعة لا تبغي بها بدلاً فيها النعيمُ وفيها راحة البدنِ
انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغيرِ القُطنِ والكفن؟[1]

*** ما هي حقيقة الموت:**

أما الموت فقد علم الناس كلهم أنه حقيقة مشاهدة محسوسة، وليس من الغيبيات في شيء.

غير أن ثمة أموراً أخرى تحيط به من بين يديه ومن خلفه لا مجال للعلم بها إلا عن طريق الخبر اليقين الوارد في شأنها: إذ لا تنكشف حقيقته على سبيل الحسّ والمعانية، إلا لمن وقع في سياق الموت، وأخذ يعاني من سكراته، ولمن تجاوزه إلى الحياة البرزخية القائمة من وراء الموت، ولذلك كانت هذه الأمور مغيَّبات بالنسبة إلينا، ما دمنا لا نزال نسيرُ في معبر هذه الدنيا، ولم نصل بعد الى هذه النهاية التي إليها مصير كلِّ حيّ من المخلوقات.

ومن هذه الأمور الغيبية:

ملك الموت وقبضته الأرواح: لا ريب أنَّ المحيي والمميت هو الله ﷻ، فهو الذي يتوفى الأنفس ويميتها عندما يشاء، وفي بيان ذلك يقول الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[2]، ولكن اقتضت حكمة الله ﷻ أن يكِلَ قبض الأرواح إلى واحد من ملائكته المقربين، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾[3].

(١) ينظر: القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ج١/ص.١٨،١٧
(٢) سورة الزمر، الآية: ٤٢.
(٣) سورة السجدة، الآية: ١١.

وهو ملك عظيم سمّاه الله تعالى **ملك الموت**.

ولكن هل له أعوان من الملائكة يعالجون نزع الأرواح من أجسادهم، أم أن الأمر كله موكول إليه وحده؟

ذهب جمهور العلماء إلى أن لملك الموت أعواناً كثيرين من الملائكة أقامهم الله ﷻ معه في هذا الأمر، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ . . .﴾[1].

خلق الله تعالى ملك الموت وجعل على يديه قبض الأرواح وانتزاعها من الأجسام وإخراجها منها، وخلق الله تعالى جنداً يكونون معه ويعملون عمله بأمره، فملك الموت يقبض والأعوان يعالجون.

ثم إنّ أحاديث متنوعة وآثاراً كثيرة دلت على أن الإنسان كلما كان أصلح حالاً أثناء حياته، كان ملك الموت به أرفق، وكان الموت عليه أهون. وكلما كان الإنسان موغلاً في السوء والعصيان أثناء حياته، كان الملك في معالجته أغلظ، وكان الموت عليه أشد. على أنّ هذا ليس قانوناً دائماً.

فهذه أول الحقائق الغيبية المتعلقة بالموت، وعلى المسلم أن يعتقد بها اعتقاداً جازماً لورود الخبر اليقين بها.

* ما الهدف من ذكر الموت؟ وكيف يكون وقعه على الانسان؟

أخرج أحمد، وسعيد بن منصور في سننه بسند صحيح، عن محمود بن لبيد رضي الله عنه، أن النبيّ ﷺ قال: «**اثْنَتَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ: الْمَوْتُ، وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْفِتْنَةِ، وَيَكْرَهُ قِلَّةَ الْمَالِ، وَقِلَّةُ الْمَالِ أَقَلُّ لِلْحِسَابِ**»[2].

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: مُرَّ على النبي ﷺ بجنازة، فقال:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٧.

(٢) رواه أحمد في المسند، ح(٢٣٦٢٥)، وجود إسناده الأرناؤوط رحمه الله.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

«**مستريح ومستراح منه**» قالوا: يا رسول الله، ما المستريح والمستراح منه؟ فقال: «**العَبْدُ المُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ العِبَادُ وَالبِلَادُ، وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ**»(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ، لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ، يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، إِلَّا الشَّهِيدَ، لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ، فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى**»(٢).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «أحب الفقر تواضعاً لربي، وأحب الموت اشتياقاً إلى ربي، وأحب المرض تكفيراً لخطيئتي»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ، فَمَا ذَكَرَهُ عَبْدٌ قَطُّ وَهُوَ فِي ضِيقٍ إِلَّا وَسَعَهُ عَلَيْهِ، وَلَا ذَكَرَهُ وَهُوَ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهُ عَلَيْهِ**»(٤).

وعَنْ هَانِئٍ، مَوْلَى عُثْمَانَ، قَالَ: كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ يَبْكِي حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلَا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**» قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ**»(٥).

وعَنْ بِلَالِ بْنِ سَعْدٍ رحمه الله قَالَ: يُنَادِي الْقَبْرُ كُلَّ يَوْمٍ: أَنَا بَيْتُ

---

(١) رواه البخاري في الصحيح، ح(٦٥١٢)، ومسلم في الصحيح، ح(٩٥٠).
(٢) رواه البخاري في الصحيح، ح(٢٧٩٥).
(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى، ج٧ /ص ٢٧٥، وفي إسناده راوٍ مبهم.
(٤) رواه ابن حبان في الصحيح، ح(٢٩٩٣)، وحسنه الألباني والأرناؤوط رحمهما الله.
(٥) رواه ابن ماجه في السنن، ح(٤٢٦٧)، وعبدالله بن أحمد في زوائد المسند، ح(٤٥٤)، وحسنه الألباني وصححه الأرناؤوط.

الْغُرْبَةِ، وَبَيْتُ الدُّودِ وَالْوَحْشَةِ، وَأَنَا حُفْرَةٌ مِنْ حَفَرِ النَّارِ، أَوْ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ. وَقَالَ: تُنَادِي النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا نَارُ أَنْضِجِي، يَا نَارُ أَحْرِقِي، يَا نَارُ كُلِي وَلَا تَقْتُلِي. وَقَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا وُضِعَ فِي لَحْدِهِ كَلَّمَتْهُ الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِ، فَقَالَت: وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أُحِبُّكَ وَأَنْتَ عَلَى ظَهْرِي، فَكَيْفَ وَقَدْ صِرْتَ فِي بَطْنِي، فَإِذْ وَلِيْتُكَ فَسَتَعْلَمُ مَا أَصْنَعُ، فَتَتَّسِعُ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ، وَإِذَا وُضِعَ الْكَافِرُ قَالَتْ: وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أُبْغِضُكَ وَأَنْتَ تَمْشِي عَلَى ظَهْرِي، فَإِذْا وَلِيْتُكَ فَسَتَعْلَمُ مَا أَصْنَعُ، فَتَضُمُّهُ ضَمَّةً فَتَخْتَلِفُ مِنْهَا أَضْلَاعُهُ[1].

وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة، ثم يبكون حتى كأنّ بين أيديهم جنازة.

وقالت صفية رضي الله عنها: إن امرأة اشتكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها فقالت: أكثري ذكر الموت يرقّ قلبك، ففعلت فرّق قلبها، فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها.

وكان داود عليه السلام إذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تنخلع أوصاله، فإذا ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: السعيد من وعظ بغيره.

فملازمة هذه الأفكار وأمثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه، فعند ذلك يوشك أن يستعدَّ له ويتجافى عن دار الغرور، وإلا فالذكر بظاهر القلب واللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه، ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا ينبغي أن يتذكر أنه لا بد له من مفارقته.

نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها ثم بكى فقال: والله لولا الموت لكنت مسروراً، ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرّت بالدنيا أعيننا، ثم بكى بكاء شديداً حتى ارتفع صوته.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، ح(٣٩٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لا رجعة للدنيا بعد الموت ولا فسحة للتوبة بعده:

الإيمان بالله الواحد الأحد له الأسماء الحسنى كلها، وبالجنة والنار، والملائكة والكتاب والنبيين، والبعث والحساب، والإيمان بكل ما جاء به محمد ﷺ، وبأنه حق من عند الله سبحانه وتعالى، هذا الإيمان يمثل الحقيقة الكبرى في الدعوة الإسلامية، ويمثل الحقيقة الأولى التي تقوم عليها سائر الحقائق. وهو يمثل كذلك الحقيقة الأولى والحقيقة الكبرى في حياة الإنسان أينما كان، في جميع العصور والأجيال، وجميع الشعوب والأجناس. ولا يوجد في حياة الإنسان؛ أيِّ إنسان؛ حقيقة أخطر من هذه الحقيقة، ولا قضية أعظم منها. فهي الحقيقة الكبرى التي ترسم حياته كلها، ونهجه، وسلوكه، ومواقفه، وهي التي تحدد مصيره، من آمن بها واتبع نورها فقد سار على نهج متميّز، ومن كفر بها واتبع غير سبيل المؤمنين فقد استقر على درب يمضي به إلى مصير آخر، يمضي به إلى النار، هذه حقيقة ولكن من الناس من يتجاهلها.

كلُّ إنسان سيموت، فالموت حق لا مجال للنجاة منه، سنّة ثابتة في الحياة. كل إنسان يولد ثم يموت، حقيقة ثابتة مطلقة ماضية إلى يوم القيامة، لا يخرج عنها أحد إلا بمعجزة من عند الله، كما كان من شأن عيسى عليه السلام، فمثله كمثل آدم عليه السلام خلقه الله من تراب ثم قال له كن فيكون.

وبعد الموت لا مجال لأحد أن يُصحِّح ما أخطأ به في الحياة الدنيا، فلا مجال لكافر أن يعود بعد الموت عن كفره. فالحياة الدنيا هي الفرصة الوحيدة للإنسان ليقرر فيها نهجه ودربه، وليختار سبيل الإيمان أو سبيل الكفر.

ومن هنا كانت كذلك قضية الإيمان هي القضية الكبرى للإنسان في الحياة الدنيا، فلا قضية أخطر منها ليقرر موقفه منها. فهي التي تحدد مصيره الذي لا رجعة عنه، مصيره الذي لا سبيل لتغييره أو تعديله بعد الموت؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ

بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1].

مشهد مذهل! مشهد من مشاهد يوم القيامة، ينكشف عنده الحق لكل مكذب ومنكر، فيتمنى، ولكن الأماني لا تدفع العذاب ولا تنقذ من النار.

أما عند الموت فالمشهد كذلك مذهل بين قضاء نافذ، ورجاء مردود وأمانيّ كاذبة، لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾[2].

*** تعريف الروح:**

هي جسم لطيف شفاف حي لذاته، مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الأخضر، وعند مفارقته الجسد ينقطع تصرفه، فإنّ الأعضاء آلات للروح تستعملها حسب مشيئتها.

وتطلق الروح على القرآن، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾[3]. وتطلق أيضاً على جبريل، قال تعلى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾[4]، ويلاحظ شارع الطحاوية أن الروح والنفس وإن أطلقا على تلك اللطيفة الربانية إلا أن غالب ما يسمى نفساً إذا كانت الروح متصلة بالبدن، وأما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها.

ولفظ الروح والنفس يعبر بهما عن عدة معان: يراد بالروح الهواء الخارج من البدن والهواء الداخل فيه، ويراد: البخار الخارج من تجويف

---

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٢٧- ٣٠.
(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ٩٩-١٠١.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٥٢.
(٤) سورة الشعراء، الآية: ١٩٣.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

القلب من سويداه الساري في العروق وهو الذي تسميه الأطباء الروح، ويسمى الروح الحيواني.

فهذان المعنيان غير الروح التى تفارق بالموت التى هي النفس، ويراد بنفس الشيء ذاته وعينه، وقد يراد بلفظ النفس الدم الذي يكون في الحيوان، كقول الفقهاء: «ما لا نفس له سائلة، وما ليس له نفس سائلة».

لما كانت الروح مخلوقة من جنس لا نظير له في عالم الموجودات فإننا لا نستطيع أن نعرف صفاتها، فقد عرفنا الله أنها تصعد وتهبط، وتسمع وتبصر وتتكلم إلى غير ذلك، إلا أن هذه الصفات مخالفة لصفات الأجسام المعروفة، فليس صعودها وهبوطها وسمعها وبصرها وقيامها وقعودها من جنس ما نعرفه ونعلمه، فقد أخبرنا الرسول ﷺ أن الروح يصعد بها إلى السموات العلى، ثم تعاد إلى القبر ساعة من الزمن، وقد أخبرنا أنها تنعم أو تعذب في القبر، ولا شك أن هذا النعيم على نحو مخالف لما نعلمه ونعرفه.

* مسكن الروح في الجسد:

الروح تسري في بدن الإنسان كله.

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١﴾[2]، والإنسان اسم لروح الإنسان وبدنه. وذكر في هذا البحث النص الذي أخبر به رسول الله ﷺ أن الأرواح تقبض وتوضع في كفن وحنوط تأتي بهما الملائكة، ويُصعد بها إلى السماء، وتنعم وتعذب، وتمسك في النوم وترسل، وكل هذا شأن المخلوق المحدث.

ولو لم تكن مخلوقة مربوبة لما أُمرت بالربوبية، وقد قال الله للأرواح

(١) سورة الرعد، الآية: ١٦.
(٢) سورة الإنسان، الآيتان: ١-٢.

حين أخذ الميثاق على العباد وهم في عالم الذّرّ: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، وذلك ما قرّره الحق في قوله :﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾[1] وما دام هو ربهم فإنهم مخلوقون.

* هل تموت الروح أم لا؟

١ ـ تموت لأنها نفس، وكل نفس ذائقة الموت.

٢ ـ لا تموت، فإنها خلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان، قالوا: وقد دلّ على ذلك الأحاديث الدالّة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة، إلى أن يرجعها الله في أجسادها.

والصواب: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتفنى بالكلية فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب. وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أن أهل الجنة ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾[2] وتلك هي مفارقة الروح الجسد.

سكرات الموت:

وسكرات الموت هي آلام النزع، وهي تتعلق بالروح أكثر من الجسد، هذه الروح التي استمرت معنا سنين وسنين، يأتي يوم تنفصل عن الجسد لتبقى هي ويفنى الجسد، فلنتخيل كيف تُنزع الروح عن الجسد!

تُنزع من كل عرق من العروق، وعصب من الأعصاب، ومفصل من المفاصل، ومن أصل كل شعرة وبشرة من الرأس إلى القدم، حتى قيل: إن الموت ونزع الروح أشد من الضرب بالسيوف ونشرٍ بالمناشير!

---

(١) سورة الأعراف،الآية: ١٧٢.
(٢) سورة الدخان، الآية:٥٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي حالة نزع الروح، إن بقيت فيه قوة، سُمعت له عند النزع وجذبها خواراً وغرغرة من حلقة وصدره، وقد تغير لونه، فالألم منتشر في داخله وخارجه، حتى ترتفع الحدقتان إلى أعالي أجفانه وتتقلص الشفتان واللسان، وتخضرّ أنامله، فلا تسل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه بانتزاع الروح منه، ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجياً، فتبرد أولاً قدماه، ثمّ ساقاه، ثمّ فخذاه، ولكل عضو سكرة بعد سكرة، وكربة بعد كربة، حتى تنفصل الروح عن الجسد.

قال القرطبي: **وصف الله سبحانه شدة الموت في أربع آيات:**

الأولى: قوله الحق: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾[1].

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾[2].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾[3].

الرابعة: قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾﴾[4].

روى البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن رسول الله ﷺ كانت بين يديه ركوة أو عُلبة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ**»، ثم نصب يده فجعل يقول: «**فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى**» حتى قُبض ومالت يده[5].

وروى الترمذي عنها رضي الله تعالى عنها قالت: «ما أغبطُ أحداً بهونِ موتٍ بعد الذي رأيتُ من شدة موت رسول الله ﷺ»[6].

ذكر المحاسبي في «الرعاية»: أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه

---

(١) سورة ق، الآية: ١٩.
(٢) سورة الأنعام، الآي: ٩٣.
(٣) سورة الواقعة، الآية: ٨٣.
(٤) سورة القيامة، الآية: ٢٦.
(٥) رواه البخاري في الصحيح، ح(٦٥١٠).
(٦) رواه الترمذي في السنن، ح(٩٧٩)، وصححه الألباني.

السلام: «يا خليلي! كيف وجدت الموت؟» قال: «كسفّود محمَّى جُعل في صوف رطب، ثم جُذب»، قال: « أما إنّا قد هوَّنَّا عليك يا إبراهيم»!.

وروي أن موسى عليه السلام لما صار روحه إلى الله، قال له ربه: «يا موسى! كيف وجدت الموت؟» قال: «وجدت نفسي كالعصفور الحيّ حين يُقلى على المِقلى، لا يموت فيستريح، ولا ينجو فيطير».

وروي عنه عليه السلام أنه قال: «وجدت نفسي كشاة تُسلخ بيد القصّاب وهي حية».

وقال عيسى ابن مريم عليهما السلام: «يا معشر الحواريين! ادعوا الله أن يهوِّن عليكم هذه السكرة»، يعني سكرات الموت.

فإذا كان هذا الأمر قد أصاب الأنبياء والمرسلين، والأولياء والمتقين، فما بالنا عن ذكره مشغولين؟ وعن الاستعداد له متخلفين؟ ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾[1].

قالوا: وما جرى على الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين من شدائد الموت وسكراته، فله فائدتان:

إحداهما: أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت وأنه باطن، وقد يطلع الإنسان على بعض الموتى فلا يرى عليه حركة ولا قلقاً، ويرى سهولة خروج روحه، فيغلب على ظنه سهولة أمر الموت، ولا يعرف ما الميت فيه؟ فلما ذكر الأنبياء الصادقون في خبرهم: شدة ألمه، مع كرامتهم على الله تعالى، وتهوينه على بعضهم، قطع الخلق بشدة الموت الذي يعانيه ويقاسيه الميت مطلقاً؛ لإخبار الصادقين عنه، ما خلا الشهيد قتيل الكفار على ما يأتي ذكره.

الثانية: ربما خطر لبعض الناس أن هؤلاء: أحباب الله، وأنبياؤه ورسله، فكيف يقاسون هذه الشدائد العظيمة؟ وهو سبحانه قادر على أن

---

(١) سورة ص، الآيات: ٦٧-٦٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يخفف عنهم أجمعين، كما قال في قصة إبراهيم: « أما إنا قد هوَّنَّا عليك». فالجواب: أن النبي ﷺ سئل: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «**الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»(١).

فأحب الله أن يبتليَهم تكميلاً لفضائلهم لديه، ورفعة لدرجاتهم عنده، وليس ذلك في حقهم نقصًا، ولا عذابًا، بل هو كما قال، كمال رفعة، مع رضاهم بجميل ما يجري الله عليهم، فأراد الحق سبحانه أن يختم لهم بهذه الشدائد، مع إمكان التخفيف والتهوين عليهم ليرفع منازلهم، ويعظم أجورهم قبل موتهم.

كما ابتلى إبراهيم بالنار، وموسى بالخوف والأسفار، وعيسى بالصحارى والقفار، ونبينا محمدّاً ﷺ بالفقر في الدنيا ومقاتلة الكفار، كل ذلك شدد عليهم أكثر مما شدد على العصاة، فإن ذلك عقوبة لهم، ومؤاخذة على إجرامهم، فلا نسبة بينه وبين هذا(٢).

وصف الموت:

يتم فيه انتزاع الحياة من جميع خلايا الجسم دون تمييز، ويتم ذلك فجأة أو على مراحل بواسطة ملك مخصص يسمى: ملك الموت، الذي يأمر النفس الأثيرية بالخروج من الجسم. ويكون ذلك من أصعب الأمور التي تلاقيها الروح خلال تواجدها في الحياة الدنيا، وهي تعلم أنّ الموطن الذي أُحْضِرَت منه قبل نفخها في الأرحام، ثمّ جاءت وسكنت هذا الجسم الفيزيقي فوجدته فسيحاً مترامي الأطراف، ولا أحد معها يُزاحمها عليه، فأصبح كالقصر بالنسبة لها، ويحتوي على كل ما تحب من صنوف المتع،

(١) رواه الترمذي في السنن، ح(٢٣٩٨) عن سعد رضي الله عنه، وقال: حديث حسن صحيح، ووافقه الألباني.

(٢) ينظر: القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ج١/ص٢٧-٣٤.

وألوان الشهوات، وضروب الأهواء، وفنون الابتكارات التي لم تخطر لها على بال، فعشقته وامتزجت معه، وتخللت كل ذرَّة فيه؛ لكي تعطيه الحياة، وتهبه مُقومات الحركة، ومظاهر الحيوية، وعاشا معا تلك الحياة بطولها وعرضها، بكل ما احتوته من ذكريات سجّلتها ناصعة لا تنمحي أبدًا، وصار لها التاريخ العريض، والأنيس والجليس، ثمَّ يأتي ملك الموت، ببساطة شديدة يُنادي عليها؛ لتتنازل عن كل ذلك بسهولة وتلبّي نداءه؟؟ هيات . . هيهات!!.

هل تغادر الجسم الذي كان لها بدناً في الحياة الدُّنيا، وتعود إلى حيث لا تدري أين يكون مُستقرّها؟ كلا. . . إنّها تأبى ذلك وترفضه، وتقرر أن تتمسك بهذا الجسم حتى النهاية، ولا تتنازل عنه مهما لاقت من صعاب، فينادي عليها. . . فلا تلبي النداء، وتحاول الفرار كما يفر الطير من مخالب النسر، أو تفر الفريسة من أنياب الأسد، فيلقي عليها ستاراً من السكون وعدم القدرة على الحركة، فتقع في الشرك ولا تملك الفكاك من هذا المصير، ويحيط بها القدر من كل جانب، فتعلن الاستسلام.

وملك الموت لديه صلاحيات لا يتنازل عنها مطلقاً؛ لأنه مأمور بذلك، فيمسك بها ويجذبها إليه، فيقتلعها من كل خلية في هذا الجسم، وهي لا تريد أن تتركها، فتتمزق الخلايا ويختلط الحابل بالنابل، وتسيل الدماء في كل اتجاه، وتنتهي الحواجز التي تفصل أجزاء الجسم بعضها عن بعض، فيصبح مهلهلاً، ويقاسي من الآلام الحادة والقاسية، ما لم يشعر به بشر في مرض من قبل، حيث يبدأ ذلك من القدمين وينتهي من نفس المكان الذي تعودت دائماً على الخروج منه، وهي مربوطة بالحبل الفضّي أثناء النوم، فتترك الجسد ساكنًا ممزقًا بلا حراك، وتعاني هي من رعدة تغشاها كالفرخ الصغير الذي وقع في ماءٍ باردٍ كالثلج، في ليلة شتاءٍ قارصة البرودة، فيلفها في أكفان حيث يصعد بها إلى السماء.

عن البراء بن عازب قال: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَسَلَّمَ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ» .قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ» قَالَ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى». قَالَ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ» .قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ». قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ

بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي»(١).

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾(٢).

نستخلص الآتي:

أولاً: أن الروح أثناء مغادرتها للجسم يطلق عليها النفس، وهي النفس الأثيرية التي سبق أن أشرنا إليها من قبل، وهذا يعني أن لديها علومها المكتسبة في الحياة الدنيا، ولم ينقص منها شيء في نهاية الرحلة؛ لأنها هي التي منحها الله تعالى فجورها وتقواها من قبل، وهي علوم مكتسبة للنفس.

ثانياً: جمعها: أنفس، منها المطمئنة التي ترجع إلى رحمة الله تعالى، ومنها الخبيثة التي يتملكها الرعب والذعر، عندما تدعى إلى تلك العودة.

ثالثًا: الرجوع المصحوب بالرضا، لا يكون إلا من نفس لها وزن ومقدار.

رابعًا: الدخول في عباد البرزخ، ثم دخول الجنة، لا بد عقلاً، ونقلاً، أن يكون في هيئة تطابق شكل الإنسان في الحياة الدنيا، وهو ما يسهل تعارف أهل البرزخ بعضهم على بعض، وهو ما نصت عليه الأحاديث، منها رواه النسائي، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا حُضِرَ الْمُؤْمِنُ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكِ إِلَى رَوْحِ اللَّهِ، وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ**

(١) رواه أحمد في المسند، ح(١٨٥٣٤)، وصححه الأرناؤوط.
(٢) سورة الفجر، الآيات: ٢٧-٣٠.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رِيحِ الْمِسْكِ، حَتَّى أَنَّهُ لَيُنَاوِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ السَّمَاءِ فَيَقُولُونَ: مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الرِّيحَ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ يَقْدَمُ عَلَيْهِ، فَيَسْأَلُونَهُ: مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فَيَقُولُونَ: دَعُوهُ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا»[1].

فهذا الحديث يدلنا على أنّ الأرواح لها هيئة ومقدار «**لينا**ولـه **بعضهم بعضًا**»، وفي البرزخ تحمل شكل وصورة صاحبها التي كان عليها في الدنيا، فيتم تعارفها.

وذكر أبو حامد الغزالي في كتابه «كشف علوم الآخرة»[2]، في وصف هيئة ومقدار الأرواح عند مغادرتها لأجسامها، فقال:

فإذا قبض الملك النفس السعيدة، تناولها ملكان حِسَان الوجوه، عليهما أثواب حسنة، ولهما رائحة طيبة، فيلفونها في حرير من حرير الجنّة، وهي على قدر النحلة، شخص إنساني ما فقد من عقله ولا من عِلمِهِ المُكتسب له في دار الدّنيا، فيعرجون بها في الهواء . . .

فيصف دخول الروح برفقة الملائكة إلى السماء الأولى؛ لأنها كانت في حياتها الدنيا سليمة العقيدة، والثانية بالمحافظة على الصلاة، والثالثة بأداء الزكاة، والرابعة بالصيام الذي لا لغوٌ فيه ولا رفثٌ، والخامسة بالحج الخالي من الرياء والسمعة، والسادسة ببر الوالدين، والسابعة بكفالة اليتيم وقيام الليل والناس نيام، ثم يصف عبور الروح من بحور الجلال، وسرادقات الجمال، وحينئذ ينادي من الحضرة القدسيّة ويقول الجليل: قرّبوه فنعم العبدُ كنت يا عبدي، فإذا أوقفه بين يديه الكريمتين أخجله ببعض اللوم والمعاتبة حتى يظن أنه هلك، ثم يعفو عنه.

---

(١) سنن النسائي، (كتاب: الجنائز، باب: ما يلقى المؤمن من الكرامة)، ح(١٨٣٣)، وصححه الألباني.

(٢) كتاب: الدرة الفاخرة، في كشف علوم الآخرة، لأبي حامد الغزالي، قام المؤلف بتحقيقه والتعليق عليه.

وأما الكافر فتؤخذ نفسه عنفاً، فإذا وجهه كآكل الحنظل، والملك يقول: اخرجي أيتها النفس الخبيثة من الجسد الخبيث، فإذا له صراخٌ كأعظم ما يكون صراخ الحمير، فإذا قبضها ملك ناولها زبانية قباح الوجوه، سود الثياب، مُنتني الرائحة، بأيديهم مسوح من شعر، فيلفونها، فيستحيل شخصًا إنسانيًا على قدر الجرادة، لأنّ الكافر أعظم جرمًا من المؤمن، يعني في الجسم...[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هذا ما كَتَبتهُ أنا: .....

وأنا بكامل الأهليّة الشرعيّة والقانونيّة أقول: أجعلُ هذه الوصية وتنفيذها بيد .....

الوصية

١ ـ أوصي كل محب لي أن لا يفعل أمراً يغضب رب العالمين كـ:

❖ العويل والنياحة والصراخ، ولا بأس ببكاء العين بدون صوت.

❖ لا تنفقوا مالاً لتراعوا عادات الناس، بل اجعلوا كل ما تنفقونه صدقة عني لجهة موثوقة حتى يكون أنفع لي بإذن الله تعالى.

❖ .....

❖ .....

❖ .....

❖ .....

❖ .....

(١) كشف علوم الآخرة، لأبي حامد الغزالي، تحقيق المؤلف، ص٢٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢ ـ أعطوا كل صاحب حق حقه فإن الذمم المالية كما يلي:

١ ـ أ ـ لـ: .....

عَلَيَّ: .....

وموعِد الردّ: .....

ب ـ ولـ: .....

عَلَيَّ: .....

وموعِد الردّ: .....

٢ ـ أ ـ ولي على: .....

وموعد الأداء: .....

ب ـ ولي علي: .....

موعد الأداء: .....

٣ ـ الوصية الشخصية:

١ ـ أوصي لجنة التّغسيل والتكفين التابعة لدار الفتوى ـ في بيروت، بتغسيلي بعد وفاتي وتكفيني حسب الشرع والأصول.

٢ ـ وهذا ما أوصي به مما يتعلق بتوزيع التركة التي يجب أن تقسم حسب الشريعة الإسلامية، وذلك بعد إعطاء ذوي الحقوق المذكورين في القرآن الكريم حقوقهم بالإضافة إلى:

- اقتطاع ثلث المال ليكون وقفاً محبوساً لصالح كل من:

١. طلبة العلم: .....

.....

.....

٢. أو حفظة القرآن الكريم: .....

. . . . . .

. . . . . .

٣. أو الأيتام والأرامل والمحتاجين، إبتداءً من ذوي قرابتي وأرحامي ثم بعد ذلك الأبعد فالأبعد، فالأقربون أولى بالمعروف.

أخيراً: لا تنسوني من الدعاء والاستغفار والصدقة و ... إلخ، وجزاكم الله خيراً، وأسأل الله تعالى أن يجمعنا عنده في الفردوس الأعلى.

كتبه: . . . . . التوقيع: . . . . . .

تاريخ: . . . . . .

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الاحتضارُ وحُكْمُ تغسيلِ الميتِ والصلاة عليه

الحمدُ لله رَبِّ العالَمين حمدًا كثيرًا طيبًا مُبارَكًا فيه.

يا رَبّ، قد عَجَزَ الطبيبُ فداوِنا، يا ربّ قد عمَّ الفَسادُ فنَجِّنا، يا ربّ قلَّتِ الحِياة فتَوَلَّنا، ارفَعْ غَضَبَكَ ومَقْتَكَ عنَّا، ولا تُؤاخِذْنا إنْ نَسينا أَو أَخطَأْنا، ولا تُحاسِبْنا بِما فَعَلَ السُّفهاءُ مِنَّا، يا ربِّ ٱغفِرْ ذُنوبَنا، وٱسْتُر عُيوبَنا، وٱقبلْ تَوبَتَنا وأَصلِحْ قُلوبَنا، وٱرْحَمْ ضَعْفَنا، وتوَلَّ أمرَنا، وٱسْتُرْ عَوراتنا، وآمِنْ رَوْعاتِنا، وآمِنّا في أَوطانِنا، وبَلِّغْنا ما يُرضيكَ عنّا، وٱخْتِمْ بالصّالِحاتِ أعمالنا.. وأشْهَدُ أنَّ محمدًا عبدُكَ ورسولُك،اللهم صلّ وسلّم وبارِكْ عليه وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

أما بعد:

* فالأصل في المسلمِ ولا سِيّما الملتزم، أن يُراعِيَ السُنّةَ في أعمالهِ.

* كلّ عملٍ فيه شيءٌ مِنَ التَّرَفِ أو الإسْرافِ أو التبذير، في الجنائز، فهو حَرامٌ ويَجِبُ النهي عنه بالحِكْمَة.

* كلُّ أمرٍ يُفْعَلُ في الجنائز، ويُخالِفُ نَصًّا صَريحًا، أو قاعدةً مُتّفقاً عليها، فهو أمرُ سوءٍ ويَحْرُم.

* كلُّ أمرٍ يُفْعَلُ في الجنائزِ ونحوها، وليس فيه سوى نَصٍّ ظنيٍّ مختلف فيه، أو قاعدة مُختلَف فيها، فيجبُ أنْ لا نَجْعَلَ منه مِحوَرًا للاختلافِ مع الناس.

* الاهتمامُ والحرصُ على ما يُوافِقُ الشَّرعَ، خصوصاً بعدَما تغلّبتِ العاداتُ على العِبادات، والعاداتُ لها تَمكُّنٌ في القلوب، ولا سِيّما في أمورِ الجنائز.

* ليس منَ السهلِ تغييرُ العادات، إلا إذا التزمَ جَمعٌ مِنَ النّاسِ التمسُّكَ بِما في الشّرع، و تَمَّمَ تَطبيقَه بالحكمةِ والموعظةِ الحَسَنة، ومع مُراعاةِ التدرُّج، والحَذَرِ من أنْ نَجعلَ خِلافاً ظَنِّيّاً سَبَباً لِفتنةٍ بينَ المسلمين. لذا فإنّنا سَنُراعي في دَوْرَتِنا هذه، الالتزامَ بما أمَرَ اللهُ عَزّ وجَلّ في أحكامِ الجنائز، والاقتصارَ في الغالبِ على الصحيحِ منها.

إن الموت حتم في موعده المقدر، ليس له علاقة بالسلم والحرب، إن الموت نهاية الحياة الأرضية وطور من أطوار نشأة الانسان.

قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾[1] نستدل من هذه الآية أنّ

(١) سورة الإنسان، الآية: ٢-٣.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الغاية من خلق الإنسان، هي اختبار إيمانه في ظروف الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾[1].

فخلق الإنسان مصاحب لابتلائه، أي اختباره في ظروف هذه الحياة الدنيا. لأجل ذلك خلق الله لهذا الإنسان صفات جسدية فكرية ونفسية، ووهب له وسائل المعرفة والطاقة الإدراكية التي يدرك بها سبيل هدايته ورشاده، وسبل ضلاله وفساده، ونزل له الشرائع التي تنير له الطريق، وتوجهه إلى سواء السبيل. ودل القرآن الكريم أن هذا الإنسان يعيش عمره كادحاً للوصول إلى رضى الله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾﴾[2]، كادِحٌ: الكَدْحُ العمل والسعي بنصب ومشقة في كسب خيرٍ أو اكتساب شر، فهو يتحمل المتاعب والمشقات في سبيل الوصول إلى رضا ربه.

لذلك امتن الله على الإنسان بمواهب جليلة تساعده في هذه الحياة، منها: أن الإنسان قابل للعلم وصنعة الكتابه.

مع ذلك، وصف الله الإنسان أنه عجول مجادل وضعيف، ومن أجل ذلك كلفه الله ﷻ مراعاة الواقع الذي هو فيه، وفتح له أبواب العفو والغفران والتوبة، مراعاة لهذا الواقع.

وضعف الإنسان يشمل الضعف الجسدي، والضعف النفسي، وضعف العزيمة والإرادة، وضعف القدرة على الضبط الدائم تجاه دوافع نفسه، وشهواته وأهوائه؛ ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾[3].

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ١١٥- ١١٦.

(٢) سورة الانشقاق، الآية: ٦.

(٣) سورة النساء، الآيات: ٢٧- ٢٨.

الفتنة والبلاء:

١ ـ **تعريف:** قال النووي: «قال أهلُ اللغة: أصل الفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان. قال القاضي عياض: ثم صارت في عرف الكلام لكل أمر كشفه الاختبار عن سوء».

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (ج٢/ ص٨): «وتطلق الفتنة على الكفر والغلو في التأويل البعيد، وعلى الفضيحة، والبلية والعذاب، والقتال، والتحول من الحسن إلى القبيح، والميل إلى الشيء والإعجاب به، وتكون في الخير والشر، كقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾[(١)]».

٢ ـ قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾[(٢)].

٣ ـ يأتي هذا الامتحان في شدته على قدر الإيمان، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «**الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ...**»[(٣)]، **هذه السنة لا يستثنى منها بر ولا فاجر ولا مؤمن ولا كافر، فهي سنن كونية لقوله تعالى:** ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا﴾[(٤)].

ومن أنواع الابتلاء: قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الابتلاء الوارد في القرآن: «نبتليكم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم،

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

(٢) سورة العنكبوت، الآيات: ١-٣.

(٣) رواه الترمذي في السنن، ح(٢٣٩٨)، وقال: حديث حسن صحيح، ووافقه الألباني.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة»[1].

المرض وما يستحبُّ فِعله:

روى الترمذي بإسناد حسن عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ**» .قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: «**لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ**»[2].

ما يجب فعله على المريض:

إذا ما شعر المؤمن بقرب الأجل ودنوّ المنية، وجب عليه أمور، منها:

١ ـ أن يستسلم لقضاء الله وقدره، ولا يظهر السخط والتبرم، روى أنس بن مالك، رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**»[3].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان في تأويل القرآن، ج١٨/ص٤٤٠.

(٢) سنن الترمذي، ح(٢٤٥٨)، ومسند أحمد، ح(٣٦٧١)، وحسنه الألباني. وقوله (وعى) مشتق من الوعي، وهو الحفظ، والمراد ما وعى الرأس من السمع والبصر واللسان وسائر الحواس، ومعنى حوى جمع وأحاط، والمراد ما حواه البطن من القلب والفرج ومدخل الطعام والشراب ومستقره، و(البلى) بكسر الباء هو ذهاب الجسم وتلاشيه، وكونه تراباً.

(٣) رواه الترمذي في السنن، ح(٢٣٩٦)، وابن ماجه في السنن، ح(٤٠٣١)، وحسنه الألباني.

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[1].

٢ ـ أن يحسن الظن بالله تعالى، وأن يكون على يقين أن الله تعالى لا يظلم عباده، لقوله تعالى في الحديث القدسي: «**أنا عند ظن عبدي بي**»[2].

٣ ـ أن يكون بين الخوف والرجاء، الخوف من الله تعالى بسبب ما اقترفه من ذنوب، وأن يطلب الرجاء من الله تعالى، لأن الله تعالى هو الرحمن الرحيم، وأنه العفو الغفور، الذي وسعت رحمته كل شيء، وأنه تعالى يغفر الذنوب جميعاً.

فعن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، دخل على شاب وهو في الموت، فقال: «**كَيْفَ تَجِدُكَ؟**»، قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا المَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ**»[3].

٤ ـ أن يحب لقاء الله تعالى وهو مقبل على الموت، وسواء أحب ذلك أم كره، فإنه مقبل عليه، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ**» قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥-١٥٧.

(٢) رواه البخاري في الصحيح، ح(٧٤٠٥)، ومسلم في الصحيح، ح(٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي في السنن، ح(٩٨٣)، والنسائي في السنن الكبرى، ح(١٠٨٣٤)، وابن ماجه في السنن، ح(٤٢٦١)، وحسنه الألباني.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المَوْتَ، قَالَ: «**لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ**»(١).

٥ ـ أن يشغل نفسه بالذكر والدعاء والاستغاثة وتلاوة القرآن.

٦ ـ أن يتوب قبل فوات الأوان، ففي الحديث عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**»(٢)، **أي تبلغ الروح الحلقوم.**

٧ ـ أن يكتب أو يملي وصيته إن استطاع، وإلا أملاها على كاتب عدل ثقة، من أبنائه أو أقربائه أو غيرهم، لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾(٣)، ويحرم الإضرار بالوصية، كأن يوصي بحرمان بعض الورثة من حقهم في الإرث، أو يفضل بعضهم على بعض.

ما يُستحبُّ في حالةِ الاحتضار:

الاحتضار: هو ظهور دلائل الموت على المريض، وبدء السكرات، أي نزع الروح من جسده.

١ ـ الدعاء للمحتضر: عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا**

(١) رواه البخاري في الصحيح، ح(٦٥٠٧)، ورواه مسلم في الصحيح، ح(٢٦٨٣) مختصراً.

(٢) رواه الترمذي في السنن، ح(٣٥٣٧)، وابن ماجه في السنن، ح(٤٢٥٣)، وحسنه الألباني.

(٣) سورة البقرة، الآيات: ١٨٠ - ١٨٢.

حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ، أَوِ الْمَيِّتَ، فَقُولُوا خَيْرًا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ»، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ، قَالَ: «**قُولِي: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ، وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَى حَسَنَةً**»، قَالَتْ: فَقُلْتُ، فَأَعْقَبَنِي اللهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

أي يندب إلى قول الخير حينئذ من الدعاء والاستغفار له، وطلب اللطف به، والتخفيف عنه، ونحوه، وفيه حضور الملائكة حينئذ وتأمينهم.

مثال ذلك ما ورد في السنة:

● «اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ»[2].

● «اللهُمَّ، اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَاعْفُ عَنْهُ وَعَافِهِ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِمَاءٍ وَثَلْجٍ وَبَرَدٍ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَقِهِ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَعَذَابَ النَّارِ»[3].

● «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا، وَمَيِّتِنَا، وَصَغِيرِنَا، وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الْإِيمَانِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ»[4].

٢ ـ أن يوجهوه إلى القبلة: يستحب توجيه المحتضر إلى القبلة

---

(١) رواه مسلم في الصحيح، ح(٩١٩).
(٢) رواه مسلم في الصحيح، ح(٩٢٠).
(٣) رواه مسلم في الصحيح، ح(٩٦٣).
(٤) رواه أبو داود في السنن، ح(٣٢٠١)، والترمذي في السنن، ح(١٠٢٤)، والنسائي في السنن، ح(١٩٨٦)، وابن ماجه في السنن، ح(١٤٩٨)، وصححه الألباني.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مضطجعاً على شقه الأيمن، فإذا تعذر ذلك لسبب من الأسباب ألقي على قفاه وقدماه لجهة القبلة، ويرفع رأسه قليلاً على وسادة ليصير وجهه إليها[1].

٣ ـ تلقين المحتضر «لا إلٰه إلا الله»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[2]، وقال: «**لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»[3]، **وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، وَهُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ»**، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ**» .قَالَ أَبُو عَبْدِاللَّهِ البخاري: هَذَا عِنْدَ المَوْتِ، أَوْ قَبْلَهُ إِذَا تَابَ وَنَدِمَ، وَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، غُفِرَ لَهُ[4].

قال أهل العلم: إذا قال مرة فما لم يتكلم فلا ينبغي أن يلقن أو يكثر عليه.

وينبغي للملقن أن لا يلحّ في التلقين، ولكن يتلطف، فربما لا ينطق لسان المريض، فيشق عليه ذلك، فيؤدي إلى استثقاله التلقين، وكراهية الكلمة، ويخشى أن يكون ذلك سبب سوء الخاتمة.

٤ ـ يُقرأ عنده آيات فيها ذكر الجنة والرحمة والبشارة للمؤمنين، حتى يقبل على الله تعالى بحسن ظن، وقد روي في الحديث الضعيف: «**اقْرَؤُوا**

---

(١) ينظر: الرملي، نهاية المحتاج، ج٢/ص ٤٣٦، ابن قدامة، المغني، ج٣/ص٣٦٣، النووي، المجموع، ج٦/ص١٧٦ و١٨٧.

(٢) رواه أبو داود في السنن، ح(٣١٦)، وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم في الصحيح، ح(٩١٦).

(٤) رواه البخاري في الصحيح، ح(٥٨٢٧)، ومسلم في الصحيح، ح(٩٤).

يس عَلَى مَوْتَاكُمْ»[1]، قال بعض أهل العلم: المقصود بموتاكم من قد حضره الموت.

٥ ـ يسن للمريض إذا حضره الموت تعجيل التوبة، ويندب أن يدخل عليه حال احتضاره أحسن أهله وأصحابه، وكثرة الدعاء له، وللحاضرين، ويندب إبعاد الحائض والنفساء والجنب وكل شيء تكرهه الملائكة.

٦ ـ الدعاء لنفسه بالمغفرة والرحمة، فعن عائشة رضي الله عنها أنها سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وَهُوَ مُسْنِدٌ إِلَيها ظَهْرَهُ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ**»[2] وكان يمسح وجهه بالماء لتخفيف الحرارة، فلم يسأل رفع المكروهات عنه، بل سأل الإعانة على حملها، فذلك خير لما فيها من رفع للدرجات.

الخلاصة: في هذه الحالة يندب أن يقال في مجلسه الدعاء والاستغفار لشهود الملائكة، وأن يحضر أناس لهم خواص يحدثونه بالدعاء الطيب والاستغفار، والدعاء له بالرحمة، لأن الشيطان أقرب ما يكون حين الاحتضار، فيلقن لا إله إلا الله من غير إلحاح.

ما يطلب فعله بالمسلم عقب موته:

إذا مات المسلم وفاضت روحه، ندب تنفيذ الأمور التالية:

١ ـ تغميض عينيه، وشدُّ لَحييه بعصابة، لئلا يبقى فمه مفتوحاً، لفعل النبي ﷺ، وذلك عندما دخل على أبي سلمة رضي الله عنه، وقد شقَّ بصره ـ أي شَخَصَ ـ فأغمضه، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ**»[3].

---

(١) رواه أبو داود في السنن، ح(٣١٢١)، وأحمد في المسند، ح(٢٠٣١٤)، وضعفه الألباني والأرناؤوط.

(٢) رواه البخاري في الصحيح، ح(٤٤٤٠)، ومسلم في الصحيح، ح(٢٤٤٤).

(٣) رواه مسلم في الصحيح، ح(٩٢٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢ ـ تليين مفاصله، ورد كل منها إلى مكانه، بأن يلين ساعده، ثم يمده الى عضده، وكذلك رجلاه وبقية أعضائه.

٣ ـ وضع شيء ثقيل على بطنه، كي لا ينتفخ ويقبح منظره، كما يندب ستر جميع بدنه بثوب خفيف. «يحضر عنده الطِّيب كالبخور».

٤ ـ يسن نزع جميع ثيابه عنه، ووضعه على سرير ونحوه مما هو مرتفع عن الأرض، وتوجيهه للقبلة ساعة الاحتضار، وليتول فعل ذلك أرفق أهله به.

ما يجب فعله إذا فارق الإنسان الحياة وتحقق موته:

١ ـ يندب المبادرة فوراً إلى تجهيزه.

٢ ـ الإسراع بقضاء الدين.

٣ ـ الإسراع بتنفيذ الوصية.

٤ ـ النعي: قال الجمهور غير الحنابلة: لا بأس بإعلام الناس بموت إنسان للصلاة عليه وغيرها.

قال رسول الله ﷺ: «**أَسْرِعُوا بِالْجِنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا، وَإِنْ يَكُ سِوَى ذَلِكَ، فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ**»(١).

صفة الغاسل:

١ ـ من هو أولى بالغسل «يغسل الرجل الرجل، والمرأة المرأة...»، فأولى الناس لرجل لا زوجة له:

الأب ـ الجد ـ الابن ـ ابن الابن ـ الأخ ـ ابن الأخ ـ العم ـ ابن العم

وإن ماتت امرأة ولم يكن لها زوج، غسلها النساء وبناتهن ذات

(١) رواه البخاري في الصحيح، ح(١٣١٥)، ومسلم في الصحيح، ح(٩٤٤).

رحم محرم، ثم ذات رحم غير محرم أجنبي، حتى لو حضر الموت الرجل الكافر ومسلمة أجنبية غسله الكفار عند الجمهور.

قال الحنفية: «لا يجوز للرجل غسل زوجته».

وقال الجمهور: «يجوز لكل من الزوجين غسل الآخر بعد الموت»، وهو الصواب، لحديث عائشة رضي الله عنها في غسل النبي ﷺ: «لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، مَا غَسَلَهُ إِلَّا نِسَاؤُهُ»[1]، ولقول النبي ﷺ لها: «**مَا ضَرَّكِ لَوْ مِتِّ قَبْلِي، فَقُمْتُ عَلَيْكِ، فَغَسَّلْتُكِ، وَكَفَّنْتُكِ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْكِ، وَدَفَنْتُكِ**»[2].

شروط الغاسل:

لم يشترط الجمهور شرطي الإسلام والنية، فيصح غسل الكافر، ويجزئ الغسل بدون نية.

أما الحنابلة فاشترطوا في الغاسل:

١ ـ الإسلام: فلا يصح غسل الكافر؛ لأن الغسل عبادة، وليس الكافر من أهلها.

٢ ـ النية: لحديث: «**إنما الأعمال بالنيات**»[3].

٣ ـ العقل: لأن غير العاقل ليس أهلاً للنية.

ما يستحب في الغاسل:

- يستحب أن يكون الغاسل ثقة أميناً عارفاً بأحكام الغسل.

قال ﷺ: «**مَنْ غَسَّلَ مُسْلِمًا فَكَتَمَ عَلَيْهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً، وَمَنْ**

---

(١) رواه أبو داود في السنن، ح(٣١٤١)، وحسنه الألباني.

(٢) رواه ابن ماجه في السنن، ح(١٤٦٥)، وحسنه الألباني.

(٣) رواه البخاري في الصحيح، ح(١)، ومسلم في الصحيح، ح(١٩٠٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حَفَرَ لَهُ فَأَجَنَّهُ أَجْرَى عَلَيْهِ كَأَجْرِ مَسْكَنٍ أَسْكَنَهُ إِيَّاهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَفَّنَهُ كَسَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقِ الْجَنَّةِ»[(١)]، وذلك لمن ابتغى بذلك وجه الله تعالى لا يريد به جزاءً ولا شكوراً أو شيئاً من أمور الدنيا. وأن يستر عليه ولا يحدث بما قد يرى، إلّا إذا رأى من الميت حسناً مثل أمارات الخير، من وضاءة الوجه، والتبسم، ونحو ذلك، استحب إظهاره.

ملاحظة: نفقات التكفين ومؤنة التجهيز من تركة الميت أي من ماله الخاص (ويقدم على الدين والوصية).

● أن يكون حسب وصية الميت، فإن كان قد أوصى أن يغسله فلان من الناس؛ فعلى هذا الشخص أن ينفذ الوصية.

● إن لم يوصِ الميت فتختار الأسرة الثقة الأمين، لتغسيل الميت. على أن تراعي الترتيب التالي: إن كان الميت رجلاً ولم يوص أن يغسله أحد، فأولى الناس بتغسيله والده، وإن علا، أي الجد، وهكذا، وابنه، وإن نزل، كابن الابن، وهكذا، وكذلك الأمر بالنسبة للمرأة.

والآن وقد نوى المغسل أن يبدأ:

تجهيز الميت والصلاة عليه ودفنه:

أولاً: يجب تغسيل الميت المسلم، إلا أن يكون شهيداً مات في المعركة، فإنه لا يغسل، ولا يصلى عليه، بل يدفن في ثيابة، لأن النبي ﷺ لم يغسل قتلى أحد ولم يصل عليهم[(٢)].

ثانياً: غسل الميت:

١ ـ يستحب أن يغسل الميت على سرير منحدرٍ نحو رجليه، لينحدر الماء ويخرج منه، ولا يرجع إلى جهة الرأس.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، ح(١٣٠٧)، والبيهقي في السنن الكبرى، ح(٦٦٥٥)، وقوى إسناده الحافظ ابن حجر في الدراية، ج١/ص٢٣٠.

(٢) ينظر: صحيح البخاري، ح(١٣٤٣)، و(١٣٤٦).

٢ ـ يستحب أن يغسل الميت بماء بارد، لأنه يشد البدن، والمسخن يرخيه، إلّا إذا احتاج إلى الماء الساخن، لإزالة الوسخ، أو بسبب برد، فيكون حينئذ أولى.

٣ ـ أن تستر عورته.

٤ ـ ثم يرفع قليلاً ويعصر بطنه عصرًا رفيقاً.

٥ ـ ثم يلف الغاسل على يده خرقة أو نحوها فينجّيه بها، يمر في كل مرة يده على بطنه، فإن خرج منه شيء غسله، وإن لم يتأكد من طهارته سدّ المحل بقطن أو نحوه، فإن لم يستمسك فبطينٍ حرٍّ، أو بوسائل الطب الحديثة، كاللزق ونحوه.

٦ ـ ثم يوضئه وضوء الصلاة.

٧ ـ ثم يغسل رأسه ولحيته بماء وسدر[١] أو نحوه.

٨ ـ ثم يغسل شقه الأيمن.

٩ ـ ثم الأيسر، ثم يغسله كذلك مرة ثانية وثالثة، وإن لم ينق بثلاث زيْد إلى خمس، أو إلى سبع.

١٠ ـ يستحب أن يجعل في الغسلة الأخيرة شيئاً من الكافور[٢]، والحكمة فيه، أنه يطيب رائحة الموضع، لأجل من حضر من الملائكة وغيرهم، مع أنَّ فيه تجفيفاً وتبريداً وقوّة نفوذٍ، وخاصية في تصليب جسد الميت، وصرف الهوام عنه، ومنع ما يتحلل من العضلات، ومنع إسراع الفساد إليه، وهو أقوى الروائح الطيبة، وهذا هو السِّرُّ في جعله في

(١) السدر: هو عبارة عن شجر النبق تطحن أوراقه ويخلط بالماء ويعمل عمل الصابون، ويستعمل للتنظيف.

(٢) الكافور: شجر من الفصيلة الغاريّة، والمراد هنا المادّة المتخذة من هذه الشجرة بلون البلور، لها رائحة عطرية وطعم،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآخرة، إذ لو كان في الأولى مثلاً لأذهبه الماء[1].

١١ ـ ثم ينشفه بثوب.

١٢ ـ ويجعل الطيب في مغابنه، ومواضع سجوده، وإن طيبه كله كان حسنًا.

١٣ ـ ويجمر أكفانه بالبخور.

١٤ ـ ولا يسرح شعره، ولا يحلق عانته، ولا يختنه، لعدم الدليل على ذلك، والمرأة يضفر شعرها ثلاثة قرون، ويسدل من ورائها.

حكم غسل الميت الذي يتعذر غسله:

من قتل غيلة، أو بحادث سير أو نحوهما فأدى إلى تشويهه أو حرقه، وخيف عليه إذا غسل أن يتهرأ أو يتقطع، ففي غسله وجهان:

١ ـ يصب عليه الماء ولو مرة لإسقاط الفرض.

٢ ـ يُيَمَّم كحال الوضوء وغسل الجنابة للأحياء.

ثالثاً: تكفين الميت:

الأفضل أن يكفن الرجل في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة، كما فعل بالنبي ﷺ، يدرج فيها إدراجًا، وإن كفن في قميص وإزار ولفافة فلا بأس. والمرأة تكفن في خمسة أثواب: قميص (درع)، وخمار، وإزار، ولفافتين. ويكفن الصبي في ثوب واحد أو ثلاثة أثواب. وتكفن الصغيرة في قميص ولفافتين. والواجب في حق الجميع ثوب واحد يستر جميع الميت، لكن إذا كان الميت محرمًا فإنه يغسل بماء وسدر، ويكفن في إزاره وردائه أو في غيرهما، ولا يغطى رأسه ولا وجهه، ولا يطيّب،

(١) ومن خواصه أنه يطرد الهوام عن الميت.
(٢) الصنعاني، سبل السلام، ج١/ص ٥٠٨.

لأنه يبعث يوم القيامة ملبيًا، كما صح بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ[1]، وإن كان المحرم امرأة كفّنت كغيرها، ولكن لا تُطَيَّبْ.

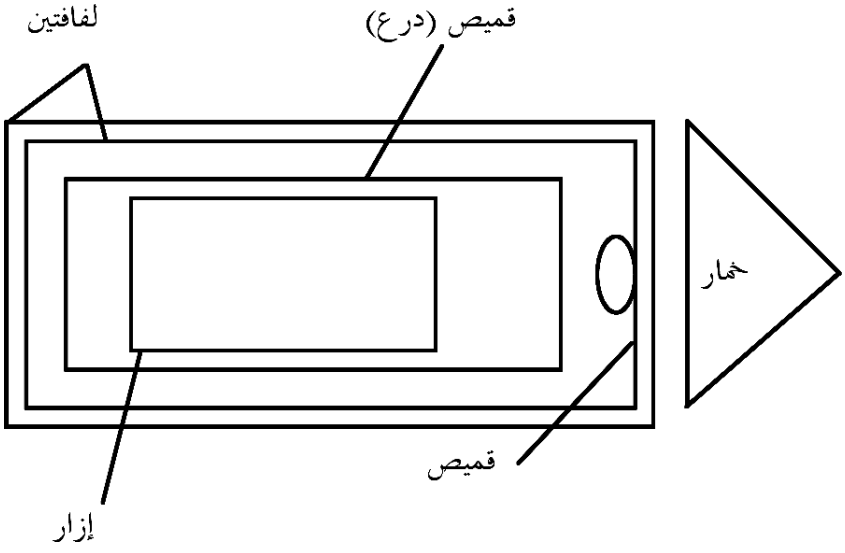

رابعاً: أحق الناس بغسله والصلاة عليه ودفنه: وصية في ذلك، ثم الأب، ثم الجد، ثم الأقرب فالأقرب من العصبات في حق الرجل، والأولى بغسل المرأة: وصيتها، ثم الأم، ثم الجدة، ثم الأقرب فالأقرب من نسائها، وللزوجين أن يغسل أحدهما الآخر، لأن أبا بكر الصديق رضي الله عنه غسلته زوجته، ولأن عليًا رضي الله عنه غسل زوجته فاطمة رضي الله عنها.

خامساً: صفة الصلاة على الميت:

ويدل على مشروعيتها: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ نعى النَّجاشي في اليوم الذي مات فيه، فخرج إلى المُصَلَّى، فَصفَّ بِهِمْ، وكَبَّر أربعاً[2].

(١) ينظر: صحيح البخاري، ح(١٢٦٥)، وصحيح مسلم، ح(١٢٠٦).
(٢) رواه البخاري في الصحيح، ح(١١٨٨)، ومسلم في الصحيح، ح(٩٥١).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولا تصح إلا بعد غسله وتكفينه، وكيفيتها كما يلي:

١ ـ يكبر تكبيرة الإحرام، ناوياً الصلاة على الميت. وكيفية النية: أن يخطر في باله: أن يصلي أربع تكبيرات على هذا الميت فرض كفاية.

٢ ـ فإذا كبر، وضع يديه على صدره مثل الصلاة العادية، ويقرأ الفاتحة، وإن قرأ معها سورة قصيرة أو آية أو آيتين فحسن، للحديث الصحيح الوارد في ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٣ ـ ثم يكبر الثانية رافعاً يديه إلى شحمة أذنيه، ثم يضع يديه مرة أخرى على صدره، ويصلي على النبي ﷺ كصلاته في التشهد، وأفضلها الصلاة الإبراهيمية.

٤ ـ ثم يكبر الثالثة، ويدعو للميت بعدها، وهو المقصود الأعظم من الصلاة على الميت، عن طلحة بن عبد الله بن عوف قال: صليت خلف ابن عباس رضي الله عنهما على جنازة، فقرأ بفاتحة الكتاب، فقال: ليعلموا أنها سنة[(١)]. وعن أبي أمامة بن سهل رضي الله عنه أنه أخبره رجل من أصحاب النبي ﷺ: أن السنة في الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام، ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرّاً في نفسه، ثم يصلي على النبي ﷺ ويُخْلِص الدعاء للجنازة في التكبيرات، ولا يقرأ في شيء منهنَّ، ثم يسلم سرّاً في نفسه[(٢)].

وأقل الدعاء أن يقول: اللهم ارحمه أو اغفر له. وأكمله أن يدعو له بالدعاء المأثور عن النبي ﷺ، ويقول: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا، وَمَيِّتِنَا، وَصَغِيرِنَا، وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا**

(١) رواه البخاري في الصحيح، ح(١٣٣٥).
(٢) رواه الشافعي في الأم، (٢/٣٠٨).

فَأَحْيِهِ عَلَى الْإِيمَانِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ»[1]. ثم يقول: اللهم هذا عبدك وابن عبديك ـ وإن كانت أنثى قال: اللهم هذه أمتك وابنة أمتك ـ خرج من روح الدنيا وسعتها، ومحبوبه وأحبائه فيها، إلى ظلمة القبر وما هو لاقيه، كان يشهد أن لا إله إلا أنت وحدك، وأن محمداً عبدك ورسولك، وأنت أعلم به منا. اللهم إنه نزل بك وأنت خير منزول به، وأصبح فقيراً إلى رحمتك، وأنت غنيٌّ عن عذابه، وقد جئناك راغبين إليك، شفعاء له. اللهم إن كان محسناً فزد في إحسانه، وإن كان مسيئاً فتجاوز عنه، ولقّه برحمتك الأمن من عذابك، حتى تبعثه إلى جنتك يا أرحم الراحمين. فإن كان الميت طفلاً قال بدلاً من هذا الدعاء الثاني: اللهم اجعله فَرَطاً لأبويه وسلفاً وذخراً وعِظةً واعتباراً وشفيعاً. وثقِّل به موازينهما، وأفرغ الصبر على قلبيهما، ولا تفتنهما بعده، ولا تحرمهما أجره.

وهذه الأدعية التقطها الشافعي رحمه الله تعالى من مجموع الأخبار، وربما ذكرها بالمعنى، واستحسنها أصحابه.

وأصح حديث في الباب: عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «**اللهُمَّ، اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ**[2] **وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ـ أَوْ: مِنْ عَذَابِ النَّارِ ـ** »

---

(١) رواه أبو داود في السنن، ح(٣٢٠١)، والترمذي في السنن، ح(١٠٢٤)، وصححه الألباني.

(٢) عافه: خلصه مما يكره.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قَالَ عوف: «حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْمَيِّتَ»[1].

٥ ـ ثم يكبر الرابعة، ويقول بعدها: «اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنَّا بعده، واغفر لنا وله».

٦ ـ ثم يسلم تسليمتين عن يمينه وعن يساره كتسليمة الصلاة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «**ثَلَاثُ خِلَالٍ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُهُنَّ، تَرَكَهُنَّ النَّاسُ، إِحْدَاهُنَّ: التَّسْلِيمُ عَلَى الْجِنَازَةِ مِثْلُ التَّسْلِيمِ فِي الصَّلَاةِ**»[2]، وإن سلم تسليمة واحدة فجائز، فقد ثبت ذلك عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم.

٧ ـ ويستحب أن يرفع يديه مع كل تكبيرة.

٨ ـ وإذا كان الميت امرأة يقال: (اللهم اغفر لها.... الخ)، وإذا كانت الجنائز اثنتين يقال: (اللهم اغفر لهما.... الخ)، وإن كانت الجنائز أكثر من ذلك قال: (اللهم اغفر لهم ... الخ)، أما إذا كان فرطًا فيقال بدل الدعاء له بالمغفرة: (اللهم اجعله فرطاً وذُخراً لوالديه، وشفيعاً مجاباً، اللهم ثقل به موازينهما، وأعظم به أجورهما، وألحقه بصالح سلف المؤمنين، واجعله في كفالة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وَقِهِ برحمتك عذاب الجحيم).

٩ ـ والسنة أن يقف الإمام حذاء رأس الرجل، ووسط المرأة، وأن يكون الرجل مما يلي الإمام إذا اجتمعا في الجنائز، والمرأة مما يلي القبلة، وإن كان معهم أطفال قدم الصبي على المرأة، ثم المرأة، ثم الطفلة، ويكون رأس الصبي حيال رأس الرجل، ووسط المرأة حيال رأس الرجل، وهكذا الطفلة يكون رأسها حيال رأس المرأة، ويكون وسطها حيال رأس الرجل، ويكون المصلون جميعاً خلف الإمام، إلا أن يكون

---

(١) رواه مسلم في الصحيح، ح(٩٦٣).

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى، ح(٦٩٨٩)، وحسنه الألباني.

واحد لم يجد مكاناً خلف الإمام فإنه يقف عن يمينه.

١٠ ـ يستحب تكثير عدد المصلين على الجنازة، ففي الحديث الصحيح: «**مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ**»(١).

ملاحظة: إنَّ الصلاة على الميت كلَّها من قيامٍ، فلا ركوع فيها ولا سجود ولا جلوس.

سادساً: صفة دفن الميت:

المشروع تعميق القبر إلى وسط الرجل، وأن يكون فيه لحد من جهة القبلة، وأن يوضع الميت في اللحد على جنبه الأيمن، وتحل عقد الكفن، ولا تنزع بل تترك، ثم ينصب عليه اللبن، ويطين حتى يثبت ويقيه التراب، فإن لم يتيسر اللبن فبغير ذلك من ألواح، أو أحجار، أو خشب يقيه التراب، ثم يهال عليه التراب، ويستحب أن يقال عند ذلك: (بسم الله، وعلى ملة رسول الله)، ويرفع القبر قدر شبر، ويوضع عليه حصباء إن تيسر ذلك، ويرش بالماء، ويشرع للمشيعين أن يقفوا عند القبر ويدعوا للميت، لأن النبي ﷺ كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، وقال: «**اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ**»(٢).

ـ ويشرع لمن لم يُصَلِّ عليه أن يصلي عليه بعد الدفن، لأن النبي ﷺ فعل ذلك(٣)، على أن يكون ذلك في حدود شهر فأقل، فإن كانت المدة أكثر لم تشرع الصلاة على الميت.

ـ ولا يجوز لأهل الميت أن يصنعوا طعاماً للناس يجتمعون عليه، لقول جرير بن عبدالله البجلي الصحابي الجليل رضي الله عنه: «كنا نَعُدُّ

---

(١) رواه مسلم في الصحيح، ح(٩٤٨).

(٢) رواه أبو داود في السنن، ح(٣٢٢١)، وصححه الألباني.

(٣) ينظر: صحيح البخاري، ح(١٣٣٦)، وصحيح مسلم، ح(٩٥٦).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاجتماعَ إلى أهلِ الميت، وصنْعَة الطعام مِنَ النِّياحة»[1]، أما صنع الطعام لهم، أو لضيوفهم فلا بأس به، ويشرع لأقاربهم وجيرانهم أن يصنعوا لهم الطعام، لأن النبي ﷺ لما جاءه الخبر بموت جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في الشام أمر أهله أن يصنعوا طعاماً لأهل جعفر، فقال: «**اصْنَعُوا لِأَهْلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا، فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ**»[2] **ولا حرج على أهل الميت أن يدعوا جيرانهم، أو غيرهم للأكل من الطعام المُهْدى إليهم، وليس لذلك وقت محدود فيما نعلم من الشرع.**

ـ لا يجوز للمرأة الحداد على ميت أكثر من ثلاثة أيام، إلا على زوجها. فإنه يجب عليها أن تحد عليه أربعة أشهر وعشراً، إلا أن تكون حاملاً فإلى وضع الحمل، لثبوت السنة الصحيحة عن النبي ﷺ بذلك. أمَّا الرجل فلا يجوز له أن يَحِدَّ على أحَدٍ من الأقاربِ أو غيرِهم.

ـ يُشْرَعُ للرجالِ زيارةُ القبورِ بينَ وقتٍ وآخرَ للدعاءِ لهم، والترحُّم عليهم، وتَذكُّرِ الموتِ وما بعدَه، لقولِ النبيِّ ﷺ: «**زوروا القبور، فإنها تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ**»[3]، وكان ﷺ يعلم أصحابَه إذا زاروا القبور أن يقولوا: «**السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَلَاحِقُونَ**»[4]، «**أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ**»[5].

ـ أما النساء فليس لهنَّ الإكثار من زيارة القبور؛ لأن الرسول ﷺ

---

(١) رواه ابن ماجه في السنن، ح(١٦١٢)، وأحمد في المسند، ح(٦٩٠٥)، وصححه الألباني والأرناؤوط.

(٢) رواه أبو داود في السنن، ح(٣١٣٢)، والترمذي في السنن، ح(٩٩٨)، وابن ماجه في السنن، ح(١٦١٠)، وأحمد في المسند، ح(١٧٥١)، وحسنه الألباني والأرناؤوط.

(٣) رواه ابن ماجه في السنن، ح(١٥٦٩)، وصححه الألباني.

(٤) رواه مسلم في الصحيح، ح(٩٧٤).

(٥) رواه مسلم في الصحيح، ح(٩٧٥).

لعن زوّارات القبور[1]، ولأنه يخشى من زياتهن الفتنة وقلة الصبر، ويكره لهنّ اتباع الجنائز إلى المقبرة، لأن الرسول ﷺ نهاهن عن ذلك[2]، أما الصلاة على الميت في المسجد، أو في المصلى فهي مشروعة للرجال وللنساء جميعاً.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) رواه الترمذي في السنن، ح(١٠٥٦)، وابن ماجه في السنن، ح(١٥٧٦)، وأحمد في المسند، ح(٨٤٤٩)، وحسنه الألباني والأرناؤوط.

(٢) روى البخاري في الصحيح، ح(١٢٧٨)، ومسلم في الصحيح، ح(٩٣٨) عن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها قالت: «نهينا عن اتباع الجنائز»، ولم يعزم علينا» أي: لم يُشدَّد علينا في النهي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

عذاب القبر ونعيمه

حقيقة الموت: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾(١).

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾(٢).

بشرى المؤمن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾(٣).

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾(٤).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ، وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ**

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.
(٢) سورة الجمعة، الآية: ٨.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٠.
(٤) سورة الفجر، الآيات: ٢٧-٣٠.

غَيْرِ غَضْبَانَ»[1].

وقال ـ أيضاً ـ ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ**»[2].

الدليل من القرآن:

ـ ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[3].

ـ ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾[4].

ـ ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾[5] أي: عذاب الدنيا وعذاب القبر.

وعيد الكافر:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[6].

إذا كان الرّجل السّوء قالوا: «**اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، اخْرُجِي ذَمِيمَةً، وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ...**»[7].

---

(١) رواه أحمد في المسند، ح(٨٧٦٩)، وابن ماجه في السنن، ح(٤٢٦٢)، وصححه الألباني والأرناؤوط.

(٢) رواه البخاري في الصحيح، ح(٦٥٠٧)، ومسلم في الصحيح، ح(٢٦٨٣)، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٣) سورة الطور، الآية: ٤٧.

(٤) سورة السجدة، الآية: ٢١.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١٠١.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.

(٧) رواه أحمد في المسند، ح(٨٧٦٩)، وابن ماجه في السنن، ح(٤٢٦٢)، وصححه الألباني والأرناؤوط.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكان عثمان رضي الله تعالى عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبلّ لحيته، فقيل له: تَذْكُر الجنّة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟! قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ القَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**»(١).

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾(٢).

وذلك أنّ الكافر إذا احتضر، بشَّرَتْهُ الملائكة بالعذاب والنكال، والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم، وغضب الرحمن الرحيم، فتتفرّق روحه في جسد، وتعصى وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم.

سؤال الملكين وفتنة القبر:

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾(٣).

ورد في حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ،**

---

(١) رواه الترمذي في السنن، ح(٢٣٠٨)، وابن ماجه في السنن، ح(٤٢٦٧)، وحسنه الألباني.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٥٠.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ». قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ» قَالَ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ - يَعْنِي بِهَا - عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى». قَالَ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ». قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ». قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي». قَالَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ» .قَالَ: «فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحٍ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا» .ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ»[1].

(١) رواه أحمد في المسند، ح(١٨٥٣٤)، وصححه الأرناؤوط والألباني.

موت المؤمن:

ـ جلوس ملائكة على مد البصر بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن وحنوط من الجنّة.

ـ يجلس ملك الموت عند رأسه ويقول: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ.

ـ يخرج كأطيب نفحة مسك وُجِدَت على وجه الأرض.

ـ تصلّي عليه الملائكة.

ـ تُفتح له أبواب السماء حتى يصل إلى السماء السابعة.

ـ يسمى بأحسن أسمائه.

ـ يقول الله تعالى: (اكتبوا كتاب عبدي في عِلِيّين)، ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝٢١﴾[1].

ـ يردّ إلى الارض.

ـ تعاد روحه في جسده.

ـ يسمع خفق نعالهم.

ـ يأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه ثم يسألانه.

ـ ينتهره ثم يسأله مرة أخرى للفتنة (آخر فتنة تعرض على المؤمن)، فيجيب بما كان عليه في الدنيا من الإيمان بالله ورسوله، ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾[2].

ـ ينادى في السماء: أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة.

ـ يأتيه من روحها وطيبها.

---

(١) سورة المطففين، الآيات: ١٩-٢١.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ـ يفسح له في قبره مّد بصره.

ـ يأتيه عمله الصالح على هيئة رجل حسن الوجه والثياب وطيب الرائحة.

ـ يفتح له باب من الجنة ليرى مكانه، وباب من النار ليرى عظيم منّة الله عليه إذ أنقذه منها.

ـ فيقول: رَبِّ عَجِّلْ قِيامَ السّاعة.

موت الكافر:

ـ تجلس ملائكة العذاب على مد البصر: غلاظ شداد، سود الوجوه، معهم المسوح من النار.

ـ يجلس ملك الموت عند رأسه ويقول: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ.

ـ تفّرق روحه في جسده من شدّة الخوف، فينتزعها انتزاعاً شديداً تقطع معها العروق والعصب.

ـ تخرج الروح كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض.

ـ تلعنه الملائكة، من في السماء ومن هو بين السماء والأرض.

ـ تُغلق أبواب السّماء ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[1].

ـ يسمّى بأقبح أسمائه.

ـ يقول الله تعالى: «**اكتبوا كتابه في سجّين**»، في الأرض السفلى.

ـ يُرَّدُ إلى الأرضِ طَرْحاً مِنَ السّماء حتّى تَقَعَ في جَسَدِه، ﴿وَمَن يُشْرِكْ

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٠.

بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[1].

ـ يسمع خفق نعالهم.

ـ يأْتيه مَلِكانِ شَديدا الانتهار، فينتهرانه ويُجْلِسانِهِ ثم يسألانه.

ـ يتعلثم ولا يجيب إلا بـ: هاه، هاه.

ـ يُنادَى من السّماء أن كذب فافرِشوا له من النار.

ـ يأْتيه من حرِّها وسَمومِها.

ـ يُضَيَّقُ عليه قبره حتّى تَخْتَلِفَ فيه أَضْلاعُه.

ـ يأتيه عمله الخبيث على هيئة رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، مُنتنِ الرّيح.

ـ يُقَيَّضُ له مَلَكٌ أعمى أصمُّ أَبْكَم، وفي يده مِرزبّةٌ يَضْرِبُهُ فيها ضَرْبَةً حتى يَصيرَ بها تُراباً ثم يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلّا الثقلين.

ـ يُفتح له باب من النّار.

ـ يُمهد من فُرش النّار.

ـ فيقول: ربِ لا تُقِم الساعة.

أدلة عن عذاب القبر من السنة:

تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في عذاب القبر، وقد مر بعضها، ومنها:

ـ عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي ﷺ عن عذاب القبر فقال: «**نَعَمْ، عَذابُ القبرِ حقّ**»[2].

(١) سورة الحج، الآية: ٣١.

(٢) رواه البخاري في الصحيح، ح(١٣٧٢).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ـ عن عُمرة عن عائشة رضي الله عنها؛ أنّ النبيّ ﷺ قال: «**إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ كَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ**» قَالَتْ عَمْرَةُ: فَسَمِعْتُ عَائِشَةَ، تَقُولُ: فَكُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ، يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ(١).

ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ**»(٢).

الأسباب التى يعذب بها أصحاب القبور:

ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ بَعْضِ حِيطَانِ المَدِينَةِ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ: «**يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، وَإِنَّهُ لَكَبِيرٌ، كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**» ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ فَكَسَرَهَا بِكِسْرَتَيْنِ أَوْ ثِنْتَيْنِ، فَجَعَلَ كِسْرَةً فِي قَبْرِ هَذَا، وَكِسْرَةً فِي قَبْرِ هَذَا، فَقَالَ: «**لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»(٣).

---

(١) رواه مسلم في الصحيح، ح(٩٠٣).

(٢) رواه مسلم في الصحيح، ح(٥٩٠)، وأبو داود في السنن، ح(١٥٤٢)، واللفظ له.

(٣) رواه البخاري في الصحيح، ح(٦٠٥٥)، ومسلم في الصحيح، ح(٢٩٢).

المعاصي التى يُعاقِبُ الله تعالى عليها يوم القيامة نوعان:

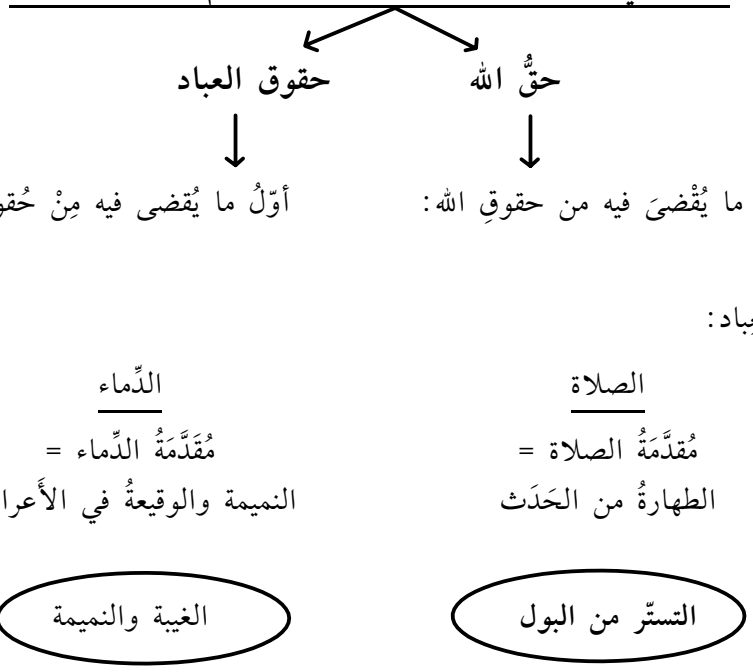

عذابُ الْمُكَذِّبين:

«فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ - أي: يقطع - **شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ**»، قَالَ: «**ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الجَانِبِ الآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى**»[1].

عذاب من يرفض القرآن:

عذاب الذي يأخذ القرآن ويرفضه، وينام عن الصلاة المفروضة:

(١) رواه البخاري في الصحيح، ح(٧٠٤٧).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

«وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَثْلَغُ ـ أي: يشق ـ رَأْسَهُ، فَيَتَدَهْدَهُ ـ أي: يتدحرج ـ الحَجَرُ هَا هُنَا، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى»[1].

عذاب آخذ الغلول: من يأخذ ما ليس من حقّه، من الغنيمة وغيرها، تشتعل عليه ناراً، «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ المَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا»[2].

عذاب الزناة والزواني: «فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ»، قَالَ: «فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا (صاحوا)»[3].

عذاب آكل الربا: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ (يفتح) لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا»[4].

عذاب من يجر إزاره خُيلاء: يُخسف به ويتجلجل (ينزل فيها مضطرباً ويندفع من شق إلى شق) إلى يوم القيامة[5].

---

(١) رواه البخاري في الصحيح، ح(٧٠٤٧).

(٢) رواه البخاري في الصحيح، ح(٤٢٣٤)، ومسلم في الصحيح، ح(١١٥)، في حق العبد الذي استشهد فيما يرى الناس وكان قد أخذ عباءة من الغنائم.

(٣) رواه البخاري في الصحيح، ح(٧٠٤٧).

(٤) رواه البخاري في الصحيح، ح(٧٠٤٧).

(٥) ينظر: صحيح البخاري، ح(٣٤٨٥)، وصحيح مسلم، ح(٢٠٨٨).

كل هؤلاء لهم من عذاب القبر نصيب:

- النّمام والكذّاب والمغتاب وشاهد الزور وقاذف المحصن.
- الداعي إلى البدعة والقائل على الله ورسوله ما لا علم له به.
- آكل الرّبا وآكل أموال اليتامى وآكل السحت من الرشوة.
- آكل مال أخيه المسلم بغير حق أو مال المعاهد.
- شارب المسكر، وآكل لقمة الشجرة الملعونة «الحشيش».
- الزاني والشاذ والسارق والخائن والغادر والمخادع والماكر.
- آخذ الربا ومعطيه وكاتبه وشاهِداه، والْمُحَلِّل والْمُحَلَّلُ له.
- المحتال على إسقاط فرائض الله وارتكاب محارمه.
- مُؤْذي المسلمين ومُتَتَبِّعُ عَوراتِهم.
- الحاكم بغير ما أَنْزَلَ الله، والْمُبَدِّلُ لِشَرْعِ الله.
- المفتي بخلاف ما شرّعه الله والمعين على الإثم والعدوان.
- قاتل النفس التى حرّم الله، والملحد في حرم الله.
- المعطل لحقائق أسماء الله وصفاته والملحد فيها.
- المقدّم رأيه وذوقه وسياسته على سنّة رسول الله ﷺ.
- النّائحة والمستمع إليها.
- نوّاحو جهنم، وهم المغنّون الغناء الذي حرّمه الله ورسوله والمستمع إليهم.
- الذين يبنون المساجد على القبور، ويوقدون عليها القناديل والسُّرُج.
- المطفّفون في استيفاء مالهم إذا أخذوه والهاضمون ما عليهم إذا بذلوه.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

- الجبّارون والمتكبّرون والمراؤون والهمّازون واللمّازون والطاعنون على السلف.
- الذين يأتون الكهنة والمنجّمين والعرافين فيسألونهم ويصدّقونهم.
- أعوان الظلمة الذين قد باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم.
- الذي إذا خوّفته بالله وذكّرته به لم يرتدع ولم ينزجر، فإذا خوفته بمخلوق مثله خاف وارعوى وكفّ عمّا هو فيه.
- الذي يُهدى بكلام الله ورسوله فلا يهتدي ولا يرفع به رأساً، فإذا بلغه عمّن يحسن به الظن ممّن يصيب ويخطئ عضَّ عليه بالنواجذ ولم يخالفه.
- الذي يُقرأ عليه القرآن فلا يؤثّر فيه، وربما استثقله، فإذا سمع قرآن الشيطان ورقية الزنا ومادة النفاق، طاب سرّه وتواجد وهاج من قلبه دواعي الطرب، وودّ لو أن المغني لا يسكت.
- الذي يحلف بالله ويكذب، فإذا حلف بالبندق أو برأس شيخه أو قريبه أو حياة من يحبه ويعظّمه من المخلوقين لم يكذب ولو هُدّد وعوقب.
- الذي يفتخر بالمعصية ويتكثر بها بين إخوانه وأضرابه، وهو المجاهر، والذي لاتأمنه على مالك وحرمك.
- الفاحش اللسان البذيء الذي تركه الخلق اتّقاء شرّه وفحشه.
- الذي يؤخر الصلاة إلى آخر وقتها وينقرها ولا يذكر الله فيها إلّا قليلاً.
- الذي لا يؤدّي زكاة ماله طيبة بها نفسه، ولا يحج مع قدرته على الحج.
- الذي لا يؤدّي ما عليه من الحقوق مع قدرته عليها، ولا يتورّع من لحظة ولا لفظة ولا أكلة ولا خطوة.
- الذي لا يُبالي بم حَصَّلَ المالَ من حلالٍ أو حرام.

● الذي لا يصل رحمه، ولا يرحم المسكين، ولا الأرملة، ولا اليتيم، ولا الحيوان البهيم. بل يدعّ اليتيم، ولا يحضّ على طعام المسكين، ويرائي للعالمين، ويمنع الماعون.

● الذي يشتغل بعيوب الناس عن عيبه وبذنوبهم عن ذنبه.

فكل هؤلاء وأمثالهم يعذبون في قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقلتها وصغيرها وكبيرها، ولمّا كان أكثر الناس كذلك؛ كان أكثر أصحاب القبور معذّبين، والفائز منهم قليل، فظواهر القبور تراب، وبواطنها حسرات وعذاب، ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات، وفي باطنها الدواهي والبليات تغلي بالحسرات.

بعض الصور من عذاب القبر:

مات رجل. . . . أتته الملائكة إنّا جالِدوكَ مائة (١٠٠) جلدة

فذكر صلاته وصيامه واجتهاده فخففوا عنه إلى ١٠، ثم سألهم ١ فجلدوه جلدة اضْطَرَمَ قبره ناراً وغشيَ عليه، فلما أفاق قال: فيم جلدتموني هذه الجلدة؟ قالوا: إنك بلت يوماً وصَلّيْتَ ولم تَتَوضّأْ، وسمعت رجلاً يستغيثُ مظلوماً فلم تُغِثْهُ[١].

«سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر»[٢] يعني سورة الملك.

«كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً»[٣] يعني الشهيد.

أول ما يسأل عن صلاته.

«إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ

---

(١) رواه عبدالرزاق في المصنف، ح(٦٧٥٢)، وابن أبي شيبة في المصنف، ح(٣٤٩٠٣)، من قول عمرو بن شرحبيل التابعي رحمه الله تعالى.

(٢) رواه أبو الشيخ الأصفهاني في الطبقات، ص(٢٦٤)، وحسنه الألباني.

(٣) رواه النسائي في السنن، ح(٢٠٥٣)، وصححه الألباني.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١).

الضرب: «**وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَنْتَهِرُهُ فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيُقَالُ لَهُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، فَيُقَالُ لَهُ: فَمَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَضْرِبُهُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا الْخَلْقُ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ**»(٢).

تطبيق القبر عليه: «**فَيُقَالُ لِلأَرْضِ: التَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ**»(٣).

تسليطُ الحيَّاتِ والعَقارب: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾(٤) قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمَعِيشَةُ الضَّنْكُ؟**»، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**عَذَابُ الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَيُسَلَّطُ عَلَيْهِمْ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تِنِّينًا، أَتَدْرُونَ مَا التِّنِّينُ؟**»، قَالَ: «**تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ حَيَّةً، لِكُلِّ حَيَّةٍ سَبْعَةُ رُؤُوسٍ يَنْفُخُونَ فِي جِسْمِهِ وَيَلْسَعُونَهُ، وَيَخْدِشُونَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(٥).

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: وكان يقال: لو أن تنيناً منها نفخ الأرض لم تنبت زرعاً(٦).

---

(١) رواه البخاري في الصحيح، ح(١٣٧٩)، ومسلم في الصحيح، ح(٢٨٦٦).

(٢) رواه أبو داود في السنن، ح(٤٧٥١)، وأحمد في المسند، ح(١٢٢٧١)، وصححه الألباني والأرناؤوط.

(٣) رواه الترمذي في السنن، ح(١٠٧١)، وحسنه الألباني.

(٤) سورة طه، الآية: ١٢٣.

(٥) رواه أبو يعلى في المسند، ح(٦٦٤٤)، وابن حبان في الصحيح، ح(٣١٢٢)، وحسنه الألباني والأرناؤوط، وقال الحافظ ابن كثير: رفعه منكر جداً.

(٦) رواه الطبري في التفسير، ج١٨/ ص٣٩٣.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُضْرَبُ ضَرْبَةً يَلْتَهِبُ قَبْرُهُ نَارًا مِنْهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ، أَوْ تَمَاسَّ، وَيُبْعَثُ عَلَيْهِ حَيَّاتٌ مِنْ حَيَّاتِ الْقَبْرِ كَأَعْنَاقِ الْإِبِلِ، فَإِذَا خَرَجَ قُمِعَ بِمَقْمَعٍ مِنْ نَارٍ أَوْ حَدِيدٍ(١).

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: فيُؤْمَر بجَسَدِه فيُضَيَّق عليه في القَبْر، ويُملَأُ حَيَّاتٍ مثلَ أعْناقِ البُخْت ـ أي: الجِمال ـ تأكلُ لَحْمَه، فلا يَدَعْنَ من عِظامِه شيئًا، ثم يُرسَلُ عليه مَلائكةٌ صُمٌّ عُمْيٌ، معَهُم فَطَاطِيسُ ـ أي: مطارق عظيمة ـ من حَديدٍ، لا يُبْصِرونَه فيَرْحَمونَهُ، ولا يَسْمَعون صَوتَه فيَرْحَمونَه، فيَضْربونَه ويَخْبِطونَه، ويُفْتَح له بابٌ من النار، يَنْظُر إلى مَقْعَدِه من النار بُكْرَةً وعَشِيًّا، يسألُ الله أن يُديمَ ذلكَ عليه ولا يَصِلَ إلى ما وَراءَهُ من النَّار(٢).

نعيم القبر:

ـ ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾(٣).

ـ «إِنَّ الْمُؤْمِنَ فِي قَبْرِهِ لَفِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وَيُرْحَبُ لَهُ قَبْرُهُ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُنَوَّرُ لَهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»(٤).

ـ «**فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى**

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، ح(١٢٠٤٧)، والآجري في الشريعة، ح(٨٦٣)، بإسناد حسن.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، ج١٣/ص٣٥٥، ح(١٤١٧٤)، ورجاله ثقات كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ج٢/ص٢٩٨.

(٣) سورة الواقعة، الآيتان: ٨٨-٨٩.

(٤) رواه أبو يعلى في المسند، ح(٦٦٤٤)، وابن حبان في الصحيح، ح(٣١٢٢)، وحسنه الألباني والأرناؤوط.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الْجَنَّةِ» .قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ»[1].

ـ «فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»[2].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) رواه أحمد في المسند، ح(١٨٥٣٤)، وصححه الأرناؤوط والألباني.

(٢) رواه الترمذي في السنن، ح(١٠٧١)، وحسنه الألباني.

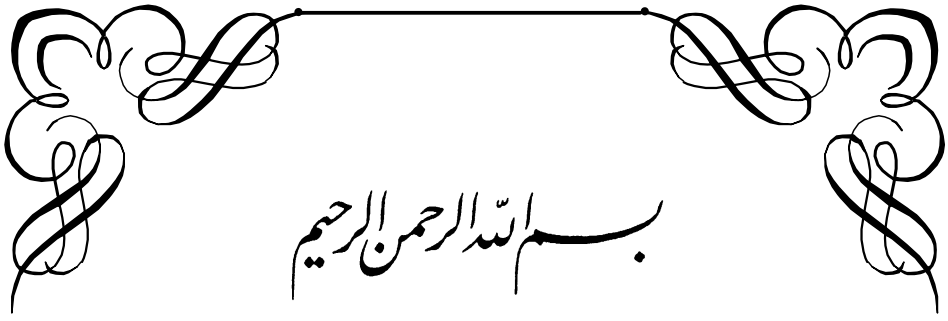

العـــدة

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه.

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

اللهم انفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً ويقيناً.. آمين.

وبعد؛ فقد اعتمدت في بحثي هذا العدّة على مرجعين مهمين يرجع إليهما المسلم في حياته، ألا وهما: **كتاب الله، وسنة نبيه** ﷺ.

العدة لغة: مأخوذة من العدد؛ لاشتمالها عليه من الأقراء (الحيض، وقيل: الأطهار) أو الأشهر، فعدة المرأة المطلقة والمتوفى عنها زوجها هي ما تعدّه من أيام أقرائها أو أيام حملها أو أربعة أشهر وعشر ليال.

العدة اصلاحًا: هي اسم لمدة معينة تتربصها المرأة تعبداً لله تعالى أو تفجّعًا على زوجها أو تأكداً من براءة رحمها.

والعدة واجبة على كل حال، حتى ولو تيقن براءة الرحم، لتغليب جانب التعبد فيها.

مشروعية وأدلة العدة: اتفق الفقهاء على مشروعية العدة ووجوبها على

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المرأة عند وجود السبب، واستدلوا على ذلك بالكتاب والسنة والإجماع.

من كتاب الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[1].

هذا أمر من الله تعالى للنساء اللاتي يتوفى عنهن أزواجهن أن يعتددن أربعة أشهر وعشر ليال.

وهذا حكم يشمل الزوجات المدخول بهن وغير المدخول بهن بالإجماع، ومستنده في غير المدخول بها: عموم الآية الكريمة، وهذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن:

أُتِيَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً، فَمَاتَ عَنْهَا وَلَمْ يَفْرِضْ لَهَا، وَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا، فَسُئِلَ عَنْهَا شَهْرًا، فَلَمْ يَقُلْ فِيهَا شَيْئًا، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَقَالَ: أَقُولُ فِيهَا بِرَأْيِي، فَإِنْ يَكُ خَطَأً فَمِنِّي وَمِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنْ يَكُ صَوَابًا، فَمِنَ اللهِ، لَهَا صَدَقَةُ إِحْدَى نِسَائِهَا، وَلَهَا الْمِيرَاثُ، وَعَلَيْهَا الْعِدَّةُ. فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَشْجَعَ فَقَالَ: أَشْهَدُ لَقَضَيْتَ فِيهَا بِقَضَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فِي بِرْوَعَ ابْنَةِ وَاشِقٍ. ففرح عبد الله بن مسعود بذلك فرحاً شديداً[2].

ولا يخرج من ذلك إلا المتوفى عنها زوجها وهي حامل فإن عدتها بوضع الحمل، ولو لم تمكث بعده سوى لحظة لعموم قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[3].

ومن السنة: ما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ، إِلَّا عَلَى**

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٣.

(٢) رواه أحمد في المسند، ح(١٨٤٦٠)، وأبو داود في السنن، ح(٢١١٦)، والترمذي في السنن، ح(١١٤٥)، والنسائي في السنن، ح(٣٣٥٤)، وابن ماجه في السنن، ح(١٨٩١)، وصححه الألباني والأرناؤوط.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ٤.

زَوْجٍ، فَإِنَّهَا تُحِدُّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا»[1].

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن سبيعة الأسلمية أنها تُوفي عنها زوجها وهي حامل، فلم تلبث أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تعلَّت من نفاسها تجمّلت للخطاب، فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك فقال لها: مَا لِي أَرَاكِ مُتَجَمِّلَةً؟ لَعَلَّكِ تَرْجِينَ النِّكَاحَ، إِنَّكِ، وَاللهِ، مَا أَنْتِ بِنَاكِحٍ حَتَّى تَمُرَّ عَلَيْكِ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ، قَالَتْ سُبَيْعَةُ: فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ، جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي حِينَ أَمْسَيْتُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَأَفْتَانِي بِأَنِّي قَدْ حَلَلْتُ حِينَ وَضَعْتُ حَمْلِي، وَأَمَرَنِي بِالتَّزَوُّجِ إِنْ بَدَا لِي[2].

ومن الإجماع: أجمعت الأمة على مشروعية العدة ووجوبها من عصر الرسول ﷺ إلى يومنا هذا دون إنكار من أحد.

الحكمة من مشروعية العدة:

شرعت العدة لمعان منها:

- العلم ببراءة الرحم حتى لا تختلط الأنساب.
- رفع قدر الزواج وإظهار شرفه.
- وفاء لحق الزوج وإظهار تأثير فقده في المنع من التزين والتجمل.

الحكمة في جعل عدة الوفاة أربعة أشهر وعشراً:

لأن الولد يكون في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم أربعين يوماً علقة، ثم أربعين يوماً مضغة، ثم ينفخ فيه الروح، فأمرت بتربص هذه المدة (لاحتمال اشتمال الرحم على حمل)، والاحتياط بعشر بعدها لما قد

(١) رواه البخاري في الصحيح، ح(١٢٨٠)، ومسلم في الصحيح، ح(١٤٨٦).
(٢) رواه البخاري في الصحيح، ح(٣٩٩١)، ومسلم في الصحيح، ح(١٤٨٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ينقص بعض الشهور، ثم لظهور الحركة بعد نفخ الروح فيه، والله تعالى أعلم.

ويكون حساب أشهر العدة في الطلاق أو الفسخ أو الوفاة بالشهور القمرية لا الشمسية.

● إذا كان الطلاق أو الوفاة في أول الهلال اعتبرت الأشهر بالأهلة حتى لو نقص عدد الأيام؛ لأن الله تعالى أمرنا بالعدة بالأشهر (أربعة أشهر وعشراً)، فلزم اعتبار الأشهر، سواء أكانت ثلاثين يوماً أو أقل.

وإن كانت الفرقة في أثناء الشهر فقد اختلف الفقهاء في ذلك على قولين:

١ ـ ذهب الجمهور إلى أنها لو طُلقت أو حدَثت الوفاة في أثناء الشهر اعتبر، فيكمل المنكسر ثلاثين يوماً من الشهر الأخير، ولو كان المنكسر ناقصاً.

٢ ـ ذهب أبو حنيفة إلى أن العدة تحتسب بالأيام؛ لأن العدة يُراعَى فيها الاحتياط، فلو اعتبرناها بالأيام لزادت، ولو اعتبرناها بالأهلة لنقصت عن الأيام، فكانت الزيادة أولى احتياطاً (فتعتد من الوفاة مائة وثلاثين يوماً).

● اتفق أئمة المذاهب على أنه يباح للمحدة إزالة الوسخ عن ثوبها وبدنها، كنتف الإبط، وتقليم الأظافر، والاغتسال بالصابون غير المطيب.

ولا يخفى أن للمرأة المَحِدّة أن تقابل من الرجال البالغين من لها حاجة إلى مقابلته ما دامت غير مبدية لزينتها ولا مختلية به.

● وللمعتدة الخروج في حوائجها نهاراً، سواء كانت مطلقة أو متوفى عنها زوجها؛ لما روى جابر رضي الله عنه قال: طُلِّقَتْ خَالَتِي ثَلَاثًا، فَخَرَجَتْ تَجُدُّ نَخْلًا لَهَا، فَلَقِيَهَا رَجُلٌ، فَنَهَاهَا، فَأَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ لَهَا: «**اخْرُجِي فَجُدِّي نَخْلَكِ، لَعَلَّكِ أَنْ تَصَدَّقِي مِنْهُ أَوْ تَفْعَلِي خَيْرًا**»(١).

● وروى مجاهد قال: اسْتُشْهِدَ رِجَالٌ يَوْمَ أُحُدٍ، فَآمَ نِسَاؤُهُمْ، وَكُنَّ مُتَجَاوِرَاتٍ فِي دَارٍ، فَجِئْنَ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْنَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّا نَسْتَوْحِشُ بِاللَّيْلِ، أَفَنَبِيتُ عِنْدَ إحدانا فَإِذَا أَصْبَحْنَا تَبَدَّدْنَا إِلَى بُيُوتِنَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَحَدَّثْنَ عِنْدَ إِحْدَاكُنَّ مَا بَدَا لَكُنَّ، فَإِذَا أَرَدْتُنَّ النَّوْمَ فَلْتَؤُبْ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ إِلَى بَيْتِهَا**»(٢).

● وليس لها المبيت في غير بيتها، ولا الخروج ليلاً إلا للضرورة؛ لأن الليل مظنة الفساد، بخلاف النهار فإنه مظنة قضاء الحوائج والمعاش.

● ذهب جمهور الفقهاء من السلف والخلف ـ ولا سيما أصحاب المذاهب الأربعة ـ إلى أنه يجب على المعتدة من وفاة أن تلزم بيت الزوجية الذي كانت تسكنه عندما بلغها وفاة زوجها، سواء كان هذا البيت ملكاً لزوجها أو معاراً أو مستأجراً، فإن طرأ عليها ما يقتضي لها أن تتحول عن المسكن الذي وجب عليها الإحداد فيه جاز لها الانتقال إلى مسكن آخر تأمن فيه على نفسها ومالها، كأن خافت هدماً أو عدواً، وإذا انتقلت تنتقل حيث شاءت.

عقوبة غير الملتزمة بالإحداد: يستفاد من كلام الأئمة أن المحدة المكلفة لو تركت الإحداد الواجب عليها كل المدة أو بعضها فإن كان ذلك عن جهل فلا حرج، وإن كان عمداً فقد أثَمِت، ولكنها لا تعيد الإحداد؛ لأن وقته قد مضى، ولا يجوز عمل شيء في غير موضعه، في غير وقته، وانقضت العدة مع العصيان.

---

(١) رواه مسلم في الصحيح، ح(١٤٨٣)، وأبو داود في السنن، ح(٢٢٩٧)، واللفظ له.
(٢) رواه الشافعي في الأم، ج٥/ص٢٥١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإذا أمر الميت قبل وفاته الزوجة بترك الإحداد فلا تتركه؛ لأنه حق الشرع، فلا يملك العبد إسقاطه.

على من تجب العدة: تجب العدة على المرأة المسلمة البالغة، واختلف الفقهاء في الكتابية (زوجة المسلم)، والصغيرة، أما الكتابية فذهب الشافعية والمالكية إلى وجوب الإحداد مدة العدة إذا مات زوجها المسلم. أما الحنفية فقالوا: لا إحداد عليها؛ لأن الإحداد مطلوب من المسلمة، وأُلحِق بها الصغيرة؛ لأنها غير مكلفة، والأمة المسلمة.

وأجمع العلماء على وجوب الإحداد على المرأة المسلمة في عدة الوفاة في نكاح صحيح، ولو من غير دخول بالزوجة.

أما النكاح الفاسد؛ مثل النكاح بدون شهود أو وليّ، أو نكاح معتدة ولم تنقض عدتها فتزوجت؛ ونكاح محرم مثل الرضاعة ولا يعلم الزوجان بذلك، وغيره من الأنكحة الفاسدة؛ فلا تجب العدة فيه.

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾[1]، ولا يصير زوجاً حقيقياً إلا بالنكاح الصحيح.

والإحداد: هو ترك الزينة الداعية إلى إغراء الرجال بالنساء عادة، ولما كان لبس الحلي من الزينة المغرية عادة فيُمنع التحلي به في العدة.

مستلزمات العدة:

- أجمع العلماء على وجوب الإحداد في عدة الوفاة ولو من غير دخول بالزوجة.
- معنى الإحداد اصطلاحاً: امتناع المرأة من الزينة وما في معناها مدة مخصوصة في أحوال مخصوصة، وامتناعها من المبيت في غير منزلها.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٤.

● ويبدأ الإحداد عقب الوفاة، سواء علمت الزوجة بوقت الوفاة أو تأخر علمها.

● وقد ذكر أئمة المذاهب الأربعة أن الإحداد واجب على من توفي عنها زوجها إظهاراً للتأسف على ممات زوج وفّى بعهدها، وعلى انقطاع نعمة النكاح، وهي ليست نعمة دنيوية فحسب، ولكنها أيضاً أخروية؛ لأن النكاح من أسباب النجاة في المعاد (الآخرة) والدنيا.

● ما الذي تتجنبه المحدّة؟

ـ تجتنب المحدة كل ما يعتبر زينة شرعاً أو عرفاً، سواء كان يتصل بالبدن أو الثياب أو بلفت الأنظار إليها.

ـ وقد اختلف الفقهاء في بعض الحالات، ولكن اختلافهم ناشئ عن اختلاف العرف، فما اعتبر في العرف زينة اعتبروه محرماً، وما لم يعتبر زينة اعتُبر مباحاً.

١ ـ ما يتصل بالبدن: حرم عليها كل ما يعتبر مرغباً فيها من طيب وكحل للزينة وخضاب، ومن ذلك الأشياء المستحدثة للزينة.

ففي حديث أم سلمة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ دخل عليها حين توفي زوجها أبو سلمة فنهاها أن تمتشط بالطيب ولا بالحناء فإنه خضابٌ. قالت: قلت: بأي شيء أمتشط؟ قال: «**بالسدر تغلِّفين به رأسك**»[1]، أي تجعلين عليه من السدر ما يشبه الغلاف.

٢ ـ ما يتصل بالملابس: فهو كل ما جرى العرف باعتباره زينة، بصرف النظر عن اللون، فقد يكون الثوب الأسود محظوراً إذا كان يزيدها جمالاً.

وفي الصحيحين عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: جَاءَت امْرَأَةٌ إِلَى

(١) رواه أبو داود في السنن، ح(٢٣٠٥)، والنسائي في السنن، ح(٣٥٣٧)، وضعفه الألباني.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنَتِي تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا، وَقَدِ اشْتَكَتْ عَيْنَهَا، أَفَتَكْحُلُهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا**» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يَقُولُ: «**لَا**» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا هِيَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ، وَقَدْ كَانَتْ إِحْدَاكُنَّ فِي الجَاهِلِيَّةِ تَرْمِي بِالْبَعْرَةِ عَلَى رَأْسِ الحَوْلِ**». قَالَتْ زَيْنَبُ بنت أم سلمة: كَانَتِ المرْأَةُ إِذَا تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا، دَخَلَتْ حِفْشًا، وَلَبِسَتْ شَرَّ ثِيَابِهَا، وَلَمْ تَمَسَّ طِيبًا حَتَّى تَمُرَّ بِهَا سَنَةٌ، ثُمَّ تُؤْتَى بِدَابَّةٍ؛ حِمَارٍ أَوْ شَاةٍ أَوْ طَائِرٍ، فَتَفْتَضُّ بِهِ، فَقَلَّمَا تَفْتَضُّ بِشَيْءٍ إِلَّا مَاتَ، ثُمَّ تَخْرُجُ فَتُعْطَى بَعَرَةً، فَتَرْمِي، ثُمَّ تُرَاجِعُ بَعْدُ مَا شَاءَتْ مِنْ طِيبٍ أَوْ غَيْرِهِ. سُئِلَ مَالِكٌ: مَا تَفْتَضُّ بِهِ؟ قَالَ: تَمْسَحُ بِهِ جِلْدَهَا.

ترمي بالبعرة من ورائها: أي أنها قد بلغت الغاية في الحداد بطول ما حدّث عليه كما تركت البعرة وراء ظهرها.

● قال الشافعي رحمه الله تعالى: كان الإحداد على المتوفى عنها زوجها في الجاهلية سنة، ولم يكن الإحداد في سكن البيوت، فتسكن المتوفى عنها أي بيت كانت فيه؛ جيد أو رديء، وذلك أن الإحداد إنما هو في البدن، وترك لزينة البدن المدخل عليه من غيره؛ كالدهن كله في الرأس (بمعنى ما تستعمله المرأة اليوم من مستحضرات لتصفيف الشعر وترتيبه).

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

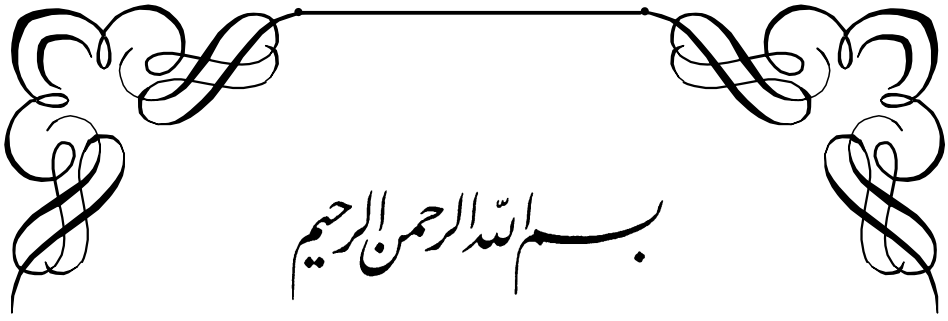

ضوابط الفقد والحزن والتعزية

ضوابط الفقد:

١ ـ أن الفقد أمر محتمّ، سيصيب كلاً منّا، طالما أنه أصاب سيِّد الخلق محمداً ﷺ، فالنبي ﷺ فقد أباه، فأمَّه، فجده، فأولاده الذكور والإناث إلا فاطمة رضي الله عنها.

٢ ـ البكاء أمر مشروع على الميت، بل هو رحمة مهداة لنا من الله تعالى.

٣ ـ التسليم المطلق لقضاء الله وقدره، من دون أي اعتراض أو إبداء تذمر.

٤ ـ حسن العزاء للنفس وللآخرين كما سيمر معنا في المحاضرة القادمة بإذن الله.

ضوابط الحزن:

قبل أن أعدد ضوابط الحزن والفقد التي وردت في أحاديث النبي ﷺ، يجب أن نعرف الحكمة من الحزن والفقد، وهذه الحكمة هي للابتلاء، للاختبار، لتمحيص مدى صبر المبتلى على البلاء، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[1]، فكل ما يحرم بهذه الحكمة ويعترضها فهو محرم منهي عنه، وكل ما ينافي التسليم لقضاء الله وقدره من قول أو فعل فهو محرم أيضاً.

ومن هذه الأمور المنهي عنها:

١ ـ النعي: يستحب أن يُعلمَ جيران الميت وأصدقاؤه حتى يؤدوا حقه بالصلاة عليه والدعاء له، ويكره أن يطاف في المجالس فيقال: أنعي (فلاناً)؛ لأن ذلك من فعل أهل الجاهلية.

٢ ـ **النياحة**: وهي الأمر الزائد على البكاء، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه بَرِئَ من الصالقة (التي ترفع صوتها بالبكاء والعويل والولولة عند المصيبة)، والحالقة (التي تحلق شعرها أو تنتفه عند المصيبة)، والشَّاقة (التي تشق ثوبها عند المصيبة)[2]، وعن أم عطية رضي الله عنها، قالت: أخذ علينا النبي ﷺ عند البيعة أن لا نَنوحَ... الحديث[3]، ويلحق بها العويل والصراخ. وفي الحديث: «**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**»[4].

أما مجرد البكاء على الميت؛ فإن البكاء على الميت والحزن عليه طبيعة لا يستطيع الإنسان أن يتخلى عنها، وكما مر معنا سابقاً أن النبي ﷺ قد بكى عند فراقه من يحب، بل وسمى هذا البكاء رحمة، لذلك لم يأمرنا الشارع بترك البكاء، وما جاء من أحاديث بأن الميت يعذب ببكاء أهله عليه ونوحهم[5]؛ لأنه بسببه ومنسوب إليه، كأن يوصيهم بذلك، أو يعرف

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٢.
(٢) ينظر: صحيح البخاري، ح(١٢٩٦)، وصحيح مسلم، ح(١٠٤).
(٣) رواه البخاري في الصحيح، ح(١٣٠٦)، ومسلم في الصحيح، ح(٩٣٦).
(٤) رواه مسلم في الصحيح، ح(٩٣٤).
(٥) ينظر: صحيح البخاري، ح(١٢٨٦-١٢٨٨).

ذلك من عادتهم ولا ينهاهم، قالوا: فأما من بكى عليه أهله وناحوا من غير وصية منه فلا يعذب؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1].

٣ ـ **لطم الخدود**: وهو صفع الوجه بكلتا اليدين أو بإحداهما، وقد نهى ﷺ عن ذلك بقوله: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ**»[2].

١ ـ **شق الثوب**: للحديث الذي مر آنفاً: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ**». والحكمة في تحريم هذه الأمور الثلاثة: النواح، واللطم، وشق الثوب، هي أن المصاب بفقد من يحب بمنزلة المريض، فهو يعالج تخفيف ألم المصيبة عنه، وهذه الأمور الثلاثة من شأنها أن تزيد الألم وتجدد الحزن، (وهذا أمر مشاهد، فكم من مجلس عزاء كان هادئاً فانقلب إلى صراخ وعويل بسبب إحداهن بدأت بذلك)، فكل ما من شأنه تجديد الحزن وزيادة ألم الفقد على أهل الميت فهو حرام.

٢ ـ **حلق الشعر**: قد مرّ معنا أن النبي ﷺ بَرِئَ من الحالقة (التي تحلق شعرها عند المصيبة)، لما في ذلك من اقتصاص من النفس وتعذيب لها، وإظهار للضيق والتذمر والغضب.

٣ ـ **نتف الشعر ونشره**: من المحرمات لما في ذلك من إظهار الجزع؛ لأنه يشبه التظلم من الظالم، وهو من مظاهر الغضب والاعتراض على المصاب.

٤ ـ **ويحرم إلقاء التراب على الرأس، والدعاء بالويل والثبور**، فعن أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ الْخَامِشَةَ وَجْهَهَا، وَالشَّاقَّةَ جَيْبَهَا، وَالدَّاعِيَةَ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ[3].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.

(٢) رواه البخاري في الصحيح، ح(١٢٩٤)، ومسلم في الصحيح، ح(١٠٣).

(٣) رواه ابن ماجه في السنن، ح(١٥٨٥)، وابن حبان في الصحيح، ح(٣١٥٦)، وصححه الألباني والأرناؤوط.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٥ ـ لبس السواد: اتفق الفقهاء على أن تسويد الوجه حزناً على الميت ـ من أهله أو من المعزين لا يجوز ـ لما فيه من إظهار للجزع وعدم الرضا بقضاء الله والسخط على من فعله، كما ورد النهي عنه في الأحاديث. وتسويد الثياب للتعزية مكروه للرجال، ولا بأس به للنساء، أما صبغ الثياب أسود تأسفاً على الميت فلا يجوز (ومنه شراء الثوب الأسود خصوصاً لتلك الواقعة)، واتفق الفقهاء على أنه يجوز للمتوفى عنها زوجها لبس السواد من الثياب . . . ولا يجب عليها ذلك، بل لها أن تلبس غيره، ومنع الحنفية لبس السواد في الحداد على غير الزوج.

فإذا علمنا ذلك كان من واجبكنَّ كداعيات، منع مثل هذه الأمور إن وجدت لدى أهل الميت، طبعاً بالتي هي أحسن، والموعظة الحسنة، بالقول اللين، بالتدرج الأولى فالأولى . . . والحذر من إثارة الفتن والبلبلة، فبدلاً من أن تكنّ عوناً لهم تصبحن ثقلاً عليهم.

تصبير أهل الميت:

إن من أهم حقوق المسلم على أخيه المسلم أن يقف معه عند الأزمة، وأن يواسيه في المحن التي تصيبه، وهذا الحق نابع من قوله ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»(١)، وبما أن من أعظم المحن التي تصيب الإنسان، هي فَقْدُ حبيبٍ على قلبه، وكان من واجبنا تسليته لتخفيف الحزن عنه، سأقوم بعرض بعض الأمور التي قد تسلي أهل الميت وتصبرهم على ما ابتلوا به:

١ ـ تذكيرهم بذكر الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾(٢)، ففي ذكر الله طمأنينة للقلب، وخاصة الإكثار من قول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) رواه البخاري في الصحيح، ح(٦٠١١)، ومسلم في الصحيح، ح(٢٥٨٦) واللفظ له.
(٢) سورة الرعد، الآيتان: ٢٧- ٢٨.

٢ ـ بيان أجر الصابرين وما أعد الله لهم من الثواب العظيم، والعطاء الجزيل، لقوله ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(١).

٣ ـ إذا كان الميت ممن يظن به الصلاح، فتكون التسلية ببيان أن ما عند الله خيرٌ له، روى البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه، أن أم حارثة ـ وكان ٱبنها حارثة قد ٱستشهد في بدر ـ أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ، فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ، اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي البُكَاءِ، قَالَ: «**يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى**»(٢)، فأمّ حارثة رضي الله عنها قد صبرت نفسها بما لابنها عند الله تعالى، ومنه ذكر محاسن الميت من فعل للخيرات، وصلاة في المسجد، . . . .

٤ ـ تذكير أهل الميت بأنّ ما أصابهم من عند الله تعالى، وأنه سبحانه لم يقدرها عليهم ليهلكهم بها، ولا ليعذبهم، وإنما ٱبتلاهم ليمتحن صبرهم ورضاهم، وليلجؤوا إليه سبحانه بالدعاء والابتهال.

٥ ـ تذكيرهم بأن ما أصابهم قد أصاب غيرهم، حتى أن صحابة رسول الله ﷺ كانوا يعزون بعضهم بقولهم «ٱذكروا مصابكم برسول الله ﷺ».

٦ ـ الوعد بالخلف مكان الصبر، لقوله ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**»(٣)، وقصة أم

(١) رواه مسلم في الصحيح، ح(٢٩٩٩).

(٢) رواه البخاري في الصحيح، ح(٢٨٠٩).

(٣) رواه مسلم في الصحيح، ح(٩١٨).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سلمة رضي الله عنها مشهورة في ذلك[1].

٧ ـ ما قاله ﷺ لابنته زينب رضي الله عنها، عندما مات ولدها، كما جاء في الحديث الذي رواه أسامة بن زيد بن حارثة، مولى رسول الله ﷺ، وحِبُّه، رضي الله عنهما قال: أَرْسَلَتِ ابْنَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ، فَأْتِنَا، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: «**إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ، وَلْتَحْتَسِبْ**»، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَرِجَالٌ، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ ـ قَالَ: حَسِبْتُهُ أَنَّهُ قَالَ: كَأَنَّهَا شَنٌّ ـ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذَا؟ فَقَالَ: «**هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**»[2].

٨ ـ ما فعله ﷺ مع آل جعفر رضي الله عنهم، روى الترمذي عن عبد الله بن جعفر قال: لما جاء نعي جعفر قال النبي ﷺ: «**اصنعوا لأهل جعفر طعاماً، فإنه قد جاءهم ما يشغلهم**»[3]. قال الترمذي: وقد كان بعض أهل العلم يستحب أن يوجَّه إلى أهل الميت شيء لشغلهم بالمصيبة.

٩ ـ مساعدة أهل الميت في تجهيز ميتهم، وترتيب أمور الدفن (من تجهيز: أوراق النعوة وتوزيعها، أوراق الوفاة، معاملات الدفن، تغسيل الميت...)، فغالباً ما يكونون مشغولين بما أصابهم.

١٠ ـ استمرارُ التواصل معهم والاتصال بهم ومواساتهم بعد انتهاء أيام العزاء، تخفيفاً عنهم وتسلية لهم.

---

(١) ينظر: صحيح مسلم، ح(٩١٨).

(٢) رواه البخاري في الصحيح،ح(١٢٨٤)، ومسلم في الصحيح، ح(٩٢٣).

(٣) رواه أبو داود في السنن، ح(٣١٣٢)، والترمذي في السنن، ح(٩٩٨)، وابن ماجه في السنن، ح(١٦١٠)، وحسنه الألباني.

التعزية:

وهي التسلية، والتصبُّرُ، وهو أن يقال له: تعزّ بعزاء الله، وعزاء الله قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾[1].

والتعزية هي: «تصبير المصاب ومواساته»، وعرفها بعضهم بقوله: هي الأمر بالصبر والحمل عليه بوعد الأجر، والتحذير من الوزر، والدعاء للميت بالمغفرة، وللمصاب بجبر المصيبة.

وذكر الإمام النووي في كتابه الأذكار: أن التعزية هي التصبير وذِكْر ما يسلي صاحب الميت ويخفف حزنه ويهوّن مصيبته، وهي مستحبة، فإنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2].

والمقصودُ من التعزية: تسلية أهل المصيبة، وقضاء حقوقهم، والتقرب إليهم بقضائها قبيل الدفن وبعده لشغلهم بمصابهم. فقد ورد أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَزِّي أَخَاهُ بِمُصِيبَةٍ، إِلَّا كَسَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ حُلَلِ الْكَرَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[3].

ـ ويستحبّ تعزية أهل الميت كبارهم وصغارهم وذا الضعف منهم من تحمل المصيبة لحاجته إليها.

الفرق بين الحداد والتعزية:

الفرق بين الحداد والتعزية، هو أن الحداد يكون بترك الزينة وما في معناها، وهو خاص بالمرأة المتوفى عنها زوجها، وأما إحداد المرأة على قريب غير زوج، فإنه جائز لمدة ثلاثة أيام فقط، ويحرم الزيادة، أما التعزية فهي ما سبق من تسلية أهل الميت والتخفيف عنهم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

(٢) الأذكار للنووي، ص١٤٨.

(٣) رواه ابن ماجه في السنن، ح(١٦٠١)، وحسنه الألباني.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقتها:

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الأفضل في التعزية أن تكون بعد الدفن، لأن أهل الميت قبل الدفن مشغولون بتجهيزه، ولأن وحشتهم بعد دفنه لفراقه أكثر، فكان ذلك الوقت أولى بالتعزية. وقال جمهور الشافعية: إلا أن يظهر من أهل الميت شدة جزع قبل الدفن، فتعجل التعزية، ليذهب جزعهم أو يخف.

مدتها:

ذهب جمهور الفقهاء على أن مدة التعزية ثلاثة أيام، وتكره بعدها؛ لأن المقصود منها سكون قلب المصاب، والغالب سكونه بعد الثلاثة، فلا يُجدد له الحزن بالتعزية، إلا إذا كان أحدهما (المعزَّى أو المعزِّي) غائباً، فلم يحضر إلا بعد انتهاء مدة العزاء، فإنه يعزيه بعد الثلاثة.

وكره الفقهاء الجلوس للتعزية: عند القبر يوم الدفن والثاني والثالث لأنَّ فيه تهييجاً للحزن.

حكمها:

هي مستحبة لمن أصابته مصيبة، لما جاء في الخبر: «**مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَزِّي أَخَاهُ بِمُصِيبَةٍ، إِلَّا كَسَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ حُلَلِ الْكَرَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١).

العرف:

١ ـ جرت العادة في جلوس أهل الميت لتقبل العزاء في بيت الميت، أو بيت أحد أقاربه، أو في قاعة عامة، كقاعات المساجد، لتعذُّر لقاء أهل الميت وتعزيتهم إذا لم يجتمعوا لذلك لكثرة الأعمال وقلة

(١) رواه ابن ماجه في السنن، ح(١٦٠١)، وحسنه الألباني.

الاجتماع، فيجوز ذلك بشرط عدم ٱشتمالها على أمر محظور كتقديم الطعام والاختلاط.

٢ ـ **لا بُدَّ من توضيح نقطة هامّة**: لا يصح أن يصرف من مال الميت سوى مصاريف الدفن والكفن وقضاء الدّين، إلا بإذن من الورثة المستحقين، لأنّ الانسان لا يملك بعد الموت، وتنتقل ملكية أملاكه إلى الورثة.

صيغتها:

لم يرد في التعزية لفظ محدد، فتصح بأيِّ لفظٍ يؤدّي الهدف المقصود منها (تصبير أهل الميت ومواساتهم)، فيقول: أعظم الله أجركم، وأحسن عزاءكم، ورحم ميتكم.

ومما جاء فيها عن النبي ﷺ:

ـ «**اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي**»، قاله للمرأة التي رآها تبكي عند القبر[1].

ـ «**إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ، وَلْتَحْتَسِبْ**» قاله لابنته زينب رضي الله عنها، عندما مات ٱبنها، كما مر سابقاً.

ـ وعن قرة المزني رضي الله عنه قال: كَانَ نَبِيُّ ﷺ إِذَا جَلَسَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ لَهُ ابْنٌ صَغِيرٌ يَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ، فَيُقْعِدُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَهَلَكَ، فَامْتَنَعَ الرَّجُلُ أَنْ يَحْضُرَ الْحَلْقَةَ لِذِكْرِ ابْنِهِ، فَحَزِنَ عَلَيْهِ، فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**مَالِي لَا أَرَى فُلَانًا؟**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بُنَيُّهُ الَّذِي رَأَيْتَهُ هَلَكَ، فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنْ بُنَيِّهِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ هَلَكَ، فَعَزَّاهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا فُلَانُ، أَيُّمَا كَانَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تَمَتَّعَ بِهِ عُمُرَكَ،**

(١) رواه البخاري في الصحيح، ح(١٢٥٢)، ومسلم في الصحيح، ح(٩٢٦).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أَوْ لَا تَأْتِي غَدًا إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ؟»، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بَلْ يَسْبِقُنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُهَا لِي لَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ، قَالَ: «**فَذَاكَ لَكَ**»(١).

ومما جاء فيها عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم:

ـ أعظم الله أجركم وأحسن عزاءكم.

ـ ما روي أنه لما توفي رسول الله ﷺ وجاءت التعزية، سمعوا قائلا يقول: إن في الله عزاءً من كل مصيبة، وخلفاً من كل هالك، ودركاً من كل ما فات، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، فإن المُصاب من حرم الثواب.

ـ ما عزى به الإمام الشافعي عبد الرحمن بن مهدي عندما مات ابنه بقوله: يا أخي؛ عزِّ نفسك بما تعزَّى به غيرك، واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل غيرك. واعلم أن أمضَّ المصائب ـ أعظم المصائب ـ فقد سرور وحرمان أجر، فكيف إذا ٱجتمعنا مع اكتساب وزر؟ فتناول حظك يا أخي إذا قرب منك قبل أن تطلبه وقد نأى عنك، ألهمك الله عند المصائب صبراً، وأحرز لنا ولك بالصبر أجراً، وكتب إليه:

إني معزيك لا أني على ثقةٍ ... من الخلود ولكن سنة الدين
فما المعزَّى بباق بعد ميته ... ولا المعزِّي ولو عاشا إلى حين

ـ وكتب رجلٌ إلى بعض إخوانه يعزيه بابنه: أما بعد، فإن الولد على والده ما عاش حزن وفتنة، فإذا قدّمه فصلاة ورحمة، فلا تجزع على ما فاتك من حزنه وفتنته، ولا تضيع ما عوضك الله ﷻ من صلاته ورحمته.

ـ وقال موسى بن المهدي لإبراهيم بن سالم وعزاه بابنه: أسرّك وهو بلية وفتنة، وأحزنك وهو صلوات ورحمة؟! إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥﴾.

---

(١) رواه النسائي في السنن، ح(٢٠٨٨)، وصححه الألباني.

ـ وعزى رجل رجلاً فقال: عليك بتقوى الله والصبر، فبه يأخذ المحتسب (الطامع بعظيم الثواب)، وإليه (أي إلى الصبر) يرجع الجازع.

ـ وعزى آخر رجلاً فقال: إن من كان لك في الآخرة أجراً؛ ممن كان لك في الدنيا سروراً.

ـ وعن الحسن البصري رحمه الله أن رجلاً جزع على ولده وشكا ذلك إليه، فقال الحسن: كان ابنك يغيب عنك؟ قال: نعم كانت غيبتُه أكثر من حضوره، قال: فاتركه غائباً فإنه لم يغبْ عنك غيبةً الأجر لك فيها أعظم من هذه، فقال: يا أبا سعيد! هوّنت عني وجْدي على ٱبني.

فمما سبق ذكره، يتضح لنا بأن التعزية تصح بأي لفظ يؤدي المقصود منها، وهو تصبير أهل الميت وتسليتهم في مصابهم.

من يُعزَّى:

يعزى أهل المصيبة، كبارهم وصغارهم، ذكورهم وإناثهم، إلا الصبي الذي لا يعقل، ويعزي الرجل المرأة، والمرأة الرجل، شريطة أمن الفتنة.

الجلوس للعزاء:

ـ المسجد: كره الفقهاء الجلوس للتعزية في المسجد.

ـ وكره الشافعية (كراهية تنزيه) والحنابلة الجلوس للتعزية، بأن يجتمع أهل الميت في مكان ليأتي إليهم الناس للتعزية، لأنه محدث وهو بدعة، ولأنه يجدد الحزن. ووافقهم الحنفية على كراهة الجلوس للتعزية على باب الدار، إذا اشتمل على ارتكاب محظور، كفرش البسط والأطعمة من أهل الميت. وذهب بعضهم إلى أنه لا بأس بالجلوس لها ثلاثة أيام من غير ارتكاب محظور. وذهب المالكية: إلى أن الأفضل كون التعزية في بيت المصاب.

والخلاصة: جواز جلوس أهل الميت لتقبل العزاء شريطة عدم اشتمالها على أمر محظور، خصوصاً أنَّ العرف في زماننا قد جرى على

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذلك، ولتعذُّرِ لقاء أهل الميت وتعزيتهم إذا لم يجتمعوا لذلك خاصة في زماننا لكثرة الأعمال وقلة الاجتماع، وسواء أكان هذا الجلوس في المنزل ـ بيت الميت أو بيت أحد أقاربه وجيرانه ـ أم في قاعة عامة كقاعات المساجد في زماننا اليوم.

الطعام في مجالس العزاء:

الأصل أنه يُسْتَحَبُّ لجيران الميت والأباعد من قرابته، تهيئة طعام لأهل الميت يشبعهم يومهم وليلتهم؛ لقوله ﷺ: «**اصنعوا لآلِ جعفر طعاماً فإنه قد جاءهم ما يشغلهم**»[(١)]، ويلح عليهم في الأكل، لأن الحزن يمنعهم فيضعفهم.

ويكره أن يصنع أهل الميت طعاماً للناس؛ لأن فيه زيادة على مصيبتهم، وشغلاً على شغلهم، وتشبهاً بأهل الجاهلية، لخبر الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، قال: كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنيعة الطعام بعد دفنه من النياحة[(٢)]، وإذا دعت الحاجة إلى ذلك جاز بشرط ألا يكون من مال الأيتام، فربما جاءهم من القُرى والأماكن البعيدة ويبيت عندهم ولا يمكنهم إلا أن يضيّفوه.

كما اتفق الفقهاء على أنه تكره **الضيافة** من أهل الميت لأنها شرعت في السرور لا في الشرور، وهي بدعة مستقبحة، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا عَقَر في الإسلام**»[(٣)]، وهو الذي كان يعقر عند القبر من إبل، أو بقر، أو شاة.

---

(١) رواه أبو داود في السنن، ح(٣١٣٢)، والترمذي في السنن، ح(٩٩٨)، وابن ماجه في السنن، ح(١٦١٠)، وحسنه الألباني.

(٢) رواه أحمد في المسند، ح(٦٩٠٥)، وابن ماجه في السنن، ح(١٦١٢)، وصححه الألباني والأرناؤوط.

(٣) رواه أبو داود في السنن، ح(٣٢٢٢)، وأحمد في المسند، ح(١٣٠٣٢)، وصححه الألباني والأرناؤوط.

وما يجري اليوم في زماننا من ضيافة ـ كشرب قهوة وغيرها من المباحات ـ لا مانع منه شريطة أن لا يكون من مال الميت من دون إذن الورثة، أو أن يكون فيه إسراف في غير محله.

ما ينفع الميت بعد موته:

ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»[1].

قال النووي: قال العلماء: معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته، وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة؛ لكونه كان سببها، فإن الولد من كسبه[2]، وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية، وهي الوقف، وفيه دليل لصحة أصل الوقف، وعظيم ثوابه، وبيان فضيلة العلم والحث على الاستكثار منه، والترغيب في توريثه بالتعليم، والتصنيف، والإيضاح، وأنه ينبغي أن يختار من العلوم الأنفع فالأنفع، وفيه أن الدعاء يصل ثوابه إلى الميت، وكذلك الصدقة، وهما مجمع عليهما، وكذلك قضاء الدين كما سبق، وأما الحج فيجزئُ عن الميت عند الشافعي وموافقيه، وهذا داخل في قضاء الدين إن كان حجّاً واجباً، وإن كان تطوعاً وصى به فهو من باب الوصايا.

ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ**

---

(١) رواه مسلم في الصحيح، ح(١٦٣١).

(٢) روى النسائي في السنن، ح(٤٤٤٩) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولد الرجل من كسبه**».

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ»(١).

ـ ذهب أهل السنة والجماعة أنّ الدعاء والاستغفار والصدقة وقضاء الدين وأداء الواجبات لا خلاف في وصولها مما يدخل بالنيابة (كالزكاة)، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾(٢). والدعاء كدعاء النبي ﷺ لأبي سلمة حين مات، ودعا النبي ﷺ للميت الذي صلى عليه، وشرع الله ذلك له وشرعه لكل من صلى على ميت بقوله: «اللهم اغفر لحيّنا وميّتنا». أما وصول العبادات المالية المحضة كالعتق والصدقة فجمهور العلماء من أهل السنة والجماعة على وصول ثوابها الى الموتى.

ـ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ أَفَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قُلْتُ: فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**سَقْيُ الْمَاءِ**»(٣).

ـ وجاءت امرأة الى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يستوي على الراحلة، فهل يقضي عنه أن أحج عنه؟ قال ﷺ: «نعم»(٤).

ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ، فَقَالَ: «**أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَيْهَا دَيْنٌ أَكُنْتِ تَقْضِينَهُ؟**» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَدَيْنُ اللهِ أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ**»(٥).

ـ دعاء النبي ﷺ لأبي سلمة: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ**

---

(١) رواه ابن ماجه في السنن، (٢٤٢)، وحسنه الألباني.
(٢) سورة الحشر: الآية: ١٠
(٣) رواه النسائي في السنن، ح(٣٦٦٤)، وحسنه الألباني.
(٤) رواه البخاري في الصحيح، ح(٦٢٢٨)، ومسلم في الصحيح، ح(١٣٣٥).
(٥) رواه مسلم في الصحيح، ح(١١٤٨).

فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ»[1].

فكل ما يصح أن يتقرب به الميت إلى الله تعالى من أعمال البر والخير، ورفع فروض الكفايات من تعليم أبناء المسلمين وبناء المدارس... صح أن يتقرب به عن الميت وإهداء ثوابه له.

واتفق الفقهاء على أن العبادات البدنية التي ترتبت في ذمة المكلف كالصيام والصلاة، فإن الصيام الذي فرط الإنسان فيه كقضاء رمضان أو صيام كفارة أو نذر، فإنه يجب عليه أن يوصي عند وفاته بالفدية، وهي إطعام مسكين عن كل يوم من أيام الصيام التي فاتته.

وزاد الحنفية وجوب الوصية بالنسبة لمن فاتته صلاة لم يقضها، قال ابن عابدين: من فاتته صلوات وكان يقدر على الصلاة ولو بالإيماء ولم يصل فإنه يلزمه الإيصاء بالكفارة، بأن يعطى لكل صلاة فاتته نصف صاع من بر، ويدفع صدقات للتخفيف عن الميت.

أفكار مقترحة في إهداء الثواب:

١ ـ دفع صدقات؛ من: رعاية الفقراء، وكفالة للأيتام، والإنفاق على مراكز تعليم القرآن الكريم.

٢ ـ الأوقاف.

٣ ـ المساهمة في بناء المساجد والمدارس والمستشفيات.

متفرقات

تعزية غير المسلمين:

أجاز الشافعية أن يعزي المسلم الكافر على موت أحد أقاربه، سواء

(١) رواه مسلم في الصحيح، ح(٩٢٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أكان هذا الميت مسلماً أم كافراً، وذكر الإمام النووي في كتابه الأذكار صيغ تعزية غير المسلمين، وهي:

- تعزية المسلم بالكافر: أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءَك.
- تعزية الكافر بالمسلم: أحسن الله عزاءَك، وغفر لِمَيّتك.
- تعزية الكافر بالكافر: أخلف الله عليك.

الرثاء:

لا بأس برثاء الميت بشعر أو غيره، لكن يُكْرَهُ الإفراطُ في مَدْحِهِ، لا سيما عند جنازته. وذكر النوويُّ في المجموع عن صاحب التتمة أنه يكره ترثية الميت بذكر آبائه، وخصائله، وأفعاله، والأولى الاستغفار له. وذكر الحنابلة أن ما هيج المصيبة من وعظ أو إنشاد شعر فمن النياحة؛ أي: المنهيِّ عنها.

وعليه لا بأس بالرثاء شريطة أن لا يخرج عن الحكمة من العزاء، وأن لا يكون مبالغاً فيه.

صيغ مقترحة لبعض الأدعية:

١ ـ اللهم إنه عبدك، وٱبن عبدك وٱبن أمتك، كان يشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، وأنت أعلم به، اللهم إن كان محسناً فزد في إحسانه، وإن كان مسيئاً فتجاوز عن سيئاته، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده.

٢ ـ اللهم أبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وعافه من فتنة القبر وعذاب جهنم.

٣ ـ اللهم هذا عبدك وٱبن عبديك، خرج من روح الدنيا وسعتها، ومحبوبه وأحبائه فيها، إلى ظلمة القبر وما هو لاقيه، كان يشهد أن لا إله إلا أنت، وأن محمداً عبدك ورسولك، وأنت أعلم به، اللهم إنه نزل بك وأنت خير منزول به، وأصبح فقيراً إلى رحمتك وأنت غني عن عذابه،

ولقه برحمتك رضاك، وقه فتنة القبر وعذابه، وجاف الأرض عن جنبيه، ولقه برحمتك الأمن من عذابك، حتى تبعثه آمناً إلى جنتك يا أرحم الراحمين.

٤ ـ اللهم اغفر لحيّنا وميّتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفّه على الإيمان، اللهم لا تحرمنا أجره.

٥ ـ اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نُزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه، وأعذه من عذاب القبر، ومن عذاب النار، وافسح له في قبره ونوّر له فيه.

ومما يدعى به للصغير:

١ ـ اللهم إنه عبدك وابن عبدك، أنت خلقته ورزقته، وأنت أمتَّه وأنت تحييه، اللهم اجعله لوالديه سلفا وذخراً، وفرطاً وأجراً، وثقّل به موازينهما، وأعظم به أجورهما، ولا تفتنّا وإياهما بعده، اللهم ألحقه بصالح سلف المؤمنين في كفالة إبراهيم عليه السلام.

٢ ـ اللهم اجعله فرطا لأبويه، وسلفاً، وذخراً وعظة، واعتباراً وشفيعاً، وثقّل به موازينهما، وأفرغ الصبر على قلوبهما، ولا تفتنهما بعده، ولا تحرمهما أجره.

وينبغي الانتباه في الدعاء إلى التذكير والتأنيث، والتثنية والجمع، بما يناسب حال الميت الذي يدعو له.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المجالس الدعوية

مقدمة:

الداعية صياد ماهر، يختار الفرص والمواسم، والداعية إلى الله لها عدة مواسم. ولذلك علينا ترصّد هذه المواسم الدعوية.

والموت موسم دعوي خاص وليس عامّاً؛ لأنه يخص أهل الميت، وتكون هناك المناخات مناسبة، حتى أننا نستطيع أن ننقل أهل الميت من الجاهلية إلى الإسلام إذا أحسنّا العمل والإخلاص في دعوتنا.

وعلينا أن لا نجعل هذه المناسبة عابرة، بل علينا أن نقصد لها أن تكون نقطة تحول لحياة أهل الميت.

وعلينا أن لا ننسى أن الكلام وحده لا يثمر كثيراً، إنما الكلام المصاحب للعمل هو الذي يؤثر في أهل الميت، لذلك علينا أن نقدم الخدمة **دون إلحاح. بالإضافة إلى مراعاة خصوصيات الناس ووضعهم، وليس العكس؛ لأن العكس يسبب النفور والإزعاج.**

هذه كانت بعض الملاحظات البسيطة التي علينا التنبه لها.

أهداف مجالس التعزية:

١ ـ الإخلاص وإرضاء الله تعالى.

٢ ـ نشر الدعوة بين الناس، أي إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

٣ ـ فتح العلاقات وتوطيدها.

٤ ـ التعزية (تسلية أهل الميت) عملاً بقول رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَزِّي أَخَاهُ بِمُصِيبَةٍ، إِلَّا كَسَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ حُلَلِ الْكَرَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١).

بالإضافة إلى تصبير أهل الميت، وتعليق الناس بكتاب الله، والتفكر والاتعاظ بالموت، والتوبة، والصلاة ودورها في الآخرة، والرضا بقضاء الله، وفضل الحمد، وماذا نأخذ معنا بعد الموت، والاستعداد الدائم للموت، وأثر البلاء في تكفير الذنوب...

٥ ـ الدعاء للميت وطلب الرحمة له.

مساعدة أهل الميت قبل الدفن، وحتى في حالة الاحتضار:

● في حال كان مريضاً وشعرنا بأن أجله قد اقترب، ممكن أن نذكر أهله بأهمية التصدق له قبل الموت، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾(٢).

أو عملاً بالحديث الشريف: «**لَأَنْ يَتَصَدَّقَ الْمَرْءُ فِي حَيَاتِهِ بِدِرْهَمٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِمِائَةِ دِرْهَمٍ عِنْدَ مَوْتِهِ**»(٣).

● وأيضاً علينا تذكيره بكتابة الوصية(٤)، بالإضافة إلى تلقينه كلمة لا

---

(١) رواه ابن ماجه في السنن، ح(١٦٠١)، وحسنه الألباني.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ١٠.

(٣) رواه أبو داود في السنن، ح(٢٨٦٦)، وابن حبان في الصحيح، ح(٣٣٣٤)، وضعفه الألباني والأرناؤوط.

(٤) «**ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده**»، رواه البخاري في الصحيح، ح(٢٧٣٨)، ومسلم في الصحيح، ح(١٦٢٧).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إله إلا الله بين الفترة والفترة برفق ولطف، وهذه سنة مأثورة عمل بها المسلمون، قال رسول الله ﷺ: «**لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»(١).

● ألا يقولوا في حضوره إلا خيراً؛ لقول النبي ﷺ: «**إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ، أَوِ الْمَيِّتَ، فَقُولُوا خَيْرًا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ**»(٢).

● تصبير أهله على مصيبة الموت؛ «**وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»(٣).

● إذا خرجت الروح من الجسد، فوجب تغميض عينيه، وشد لحييه (الفك السفلي) بعصابة من أسفلهما، وتربط فوق رأسه، تحسيناً له، ويقول: «بسم الله وعلى ملة رسول الله، اللهم يسر عليه أمره، وسهل عليه ما بعده، وأسعده بلقائك، واجعل ما خرج إليه خيراً مما خرج عنه». وقال الحنفية: يخرج من عنده الحائض والنفساء والجنب، لامتناع حضور الملائكة بسببهم.

● تليين مفاصله من اليدين والرجلين، وتليين أصابعه، ويستر جميع بدنه بثوب خفيف، ويوضع على بطنه شيء ثقيل من أنواع الحديد، لئلا ينتفخ فيقبح منظره، ويوضع على سرير ونحوه مما هو مرتفع لئلا تسرع له هوام الأرض، وتنزع ثيابه عنه لئلا يسرع فساده، وتوضع يداه بجنبيه، ولا يجوز وضعهما على صدره لأنه من عمل الكفار، وتكره عند الحنفية قراءة القرآن عنده حتى يغسل، وجاز تقبيل الميت تبركاً ومودة واحتراماً(٤).

---

(١) رواه مسلم في الصحيح، ح(٩١٦).
(٢) رواه مسلم في الصحيح، ح(٩١٩).
(٣) رواه البخاري في الصحيح، ح(١٤٦٩)، ومسلم في الصحيح، ح(١٠٥٣).
(٤) الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، (دمشق، دارالفكر، ط٣، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، ج٢/ ص٤٤٥-٤٥٥.
ببعض التصرف.

● الاسترجاع عند المصيبة بقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم اجعل كتابه في عليين، واكتبه عندك من المحسنين، واخلفه في أهله في الغابرين، واغفر له ولنا وللمسلمين».

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله**: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[1] اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها»[2].

ما علينا فعله بعد الدفن:

هذه من أصعب اللحظات التى تمر على أهل الميت، فعلينا مراعاة حالتهم النفسية، والوقوف معهم ومساعدتهم قدر المستطاع، مثلاً:

١ ـ المسارعة في إحضار طبيب شرعي لإثبات الموت.

٢ ـ إنهاء أوراقه من البلدية.

٣ ـ تعيين القبر وتهيئته.

٤ ـ طباعة ورقة النعوة وإلصاقها.

٥ ـ الإخبار عن موته بواسطة: الهاتف، الجريدة . . . .

٦ ـ التشجيع على صلاة الجنازة «من مشى في جنازة» (الرجال).

٧ ـ الطلب من أقارب الميت تقديم الطعام لأهله.

الكلمات الدعوية في مناسبة العزاء:

خصائصها ـ مضمونها ـ ملاحظات حولها ـ قواعدها وأنواعها.

أ ـ خصائصها:

١ ـ قصيرة ← لا تزيد عن ١٠ دقائق؛ لكي لا يُمل سماعها.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

(٢) رواه مسلم في الصحيح، ح(٩١٨).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢ ـ مركّزة ← أصعب من الكلمة الطويلة.

٣ ـ أهمية تحضير الكلمات، وعلى أن لا تكون ارتجالية.

٤ ـ هادفة.

٥ ـ متوافقة مع المناسبة، إذا كان الموت مفاجئاً على الكلمة أن تكون لطيفة وتحث على الصبر، حتى لا يتفوه ولا يتلفظ أهل الميت بكلمات توجب الإثم، بل تساعدهم على امتصاص الصدمة، أما إذا كان الموت من جراء المرض: نتحدث عن أجر من ابتلي بالمرض.

٦ ـ متوازنة بين الترغيب والترهيب.

٧ ـ تغليب الجانب الروحي والتأثيري لأنهم مستثارون نفسياً.

٨ ـ عدم الزجر في هذه المواقف؛ لأن الناس في هكذا لحظات لا تحتمل.

٩ ـ ذكر حسنات الميت، والسكوت عن خصاله السيئة.

ب ـ ملاحظات حولها:

١ ـ اختيار الأوقات المناسبة لإلقاء الكلمة: اليوم والسنة والشهر.

ج ـ الكلمات الدعوية (قواعدها):

١ ـ إعطاء الدرس بنية صادقة إلى الله.

٢ ـ في اليوم ثلاث كلمات.

٣ ـ تحضير الكلمات وقراءتها بصوت عالٍ ليعط الداعية الثقة بالنفس.

٤ ـ التدريب: حضر ـ حضر ـ حضر.

د ـ مضمون الكلمة الدعوية:

١ ـ مقدمة وذكر الموت.

٢ ـ لب الموضوع.

٣ ـ الإشارة إلى الميت ومحاسنه.

٤ ـ الدعاء وعدم الإطالة.

هـ ـ أنواع الكلمات:

١ ـ **كلمة واقعية**: أن يؤخذ الموضوع من الحياة المعاشة.

٢ ـ **كلمة لتزكية النفس**: كلمة مؤثرة لإخراج الناس من وحل المعصية والارتقاء إلى ساحة الطاعة.

٣ ـ كلمة تحث على الوصية، الصبر وثوابه، الصدقة الجارية.

عناوين مقترحة لكلمات في المجالس الدعوية:

١ ـ كلمة عن نعم الله تعالى.

٢ ـ كلمة إبليس وماذا توعد وكيف سيتبرأ منا يوم القيامة.

٣ ـ كلمة عن حكمة خلق الإنسان.

٤ ـ كلمة عن الموت.

٥ ـ كلمة عن المصائب وأهمية الصبر.

٦ ـ كلمة عن المرض، وأنه نعمة وليس نقمة.

٧ ـ ماذا يحتاج الناس لمعرفته اليوم؟ هل يحبون التعرف على الإعجازات العلمية أم عن أهمية العلم في وقتنا الحاضر؟

٨ ـ ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾[1] وأهمية نعم الله علينا.

٩ ـ معرفة قصة موسى عليه السلام وقصة بني إسرائيل.

١٠ ـ كلمة عن أهمية الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٠.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إليك بعض المراجع:

أ ـ تسلية أهل المصائب، لأبي عبد الله محمد بن محمد المنبجي (٧٨٥هـ).

ب ـ أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور، للحافظ ابن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ).

ج ـ شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (٩١١هـ).

د ـ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي (٦٧١هـ).

الاختبـار الشفهي

كلمة تلقى في مجلس عزاء:

المدة خمس دقائق تقسم كالتالي:

المقدمة: ١ دقيقة.

التمهيد: ١ دقيقة.

الموضوع: دقيقتان.

الخاتمة: ١ دقيقة.

(مع ذكر آية أو آيتين + ذكر حديث أو حديثين)

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

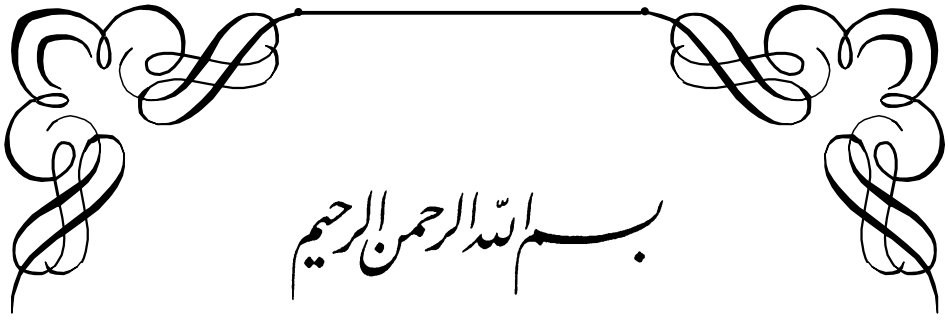

حملة الرسالة

ينقسم حملة الرسالة إلى:

١ ـ الدعوة إلى دين الله.

٢ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فئة عامة: فئة غير متخصصة (يدخل فيها كل مؤمن مسلم يعلم شيئاً من دين الله علما يقينياً) في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويؤدون هذا من خلال أعمالهم وأنشطتهم وفي أوقات فراغهم، ويتخيرون أداءها متلطفين بالتوجيه والتبليغ والتعليم والنصح.

ومن عطائهم: بيان إتقان صنعة الخالق في كونه.. بيان أنّ الله واحد لا شريك له.. بيان عدل الله وحكمته في خلقه.

حديث حول أن الله خلق الناس ليمتحنهم في هذه الدنيا، فلا بد أن يحاسبهم على أعمالهم ويجازيهم.

حديث حول الدار الآخرة والجنة والنار.

حديث حول إعجاز القرآن وأنّه حق لا ريب فيه.

تعليم آية أو سورة من القرآن.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تعليم حديث صحيح.

نصيحة حول خلق من أخلاق الإسلام: كالصدق ـ الأمانة ـ العفة ـ الوفاء بالعهد والوعد ـ رعاية حقوق الجار ـ رعاية حقوق الفقراء والمساكين واليتامى والضعفاء. [وأن تكون هذه النصيحة بأسلوب غير مباشر].

عرض حدثٍ من أحداث سيرة رسول الله ﷺ، أو قصة من قصص الصحابة وفضلاء التابعين.

أما الفئة الخاصة: هي فئة المتخصصين من حملة رسالة الدعوة إلى دين الله، أو من حملة رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

[يتحقق أن يكون لديه مؤهلات علمية ـ فكرية ـ بيانية ـ نفسية ـ خلقية ـ مع الأوصاف الإيمانية والسلوكية].

إثبات ذلك بقول الله تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ...﴾[1].

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٌ﴾[2].

جعل الله ﷻ المؤمنين إخوة، إخوة برابطة الإيمان والإسلام، مع رابطة **الاشتراك في الإنسانية المنحدرة من أصل واحد.**

ماذا تستدعي الإخوة:

١ ـ التواد ٢ ـ التحابب

٣ ـ التعاون ٤ ـ التناصر

٥ ـ الموالاة بكل معانيها ٦ ـ المؤمنون بعضهم أولياء بعض ـ وهذا يجعلهم رقباء بعضهم لبعض.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

ـ وأن يكونوا عوناً وأنصاراً على عدوّ لهم، حتى نفوسهم ووساوس شياطينهم.

ـ أن يكونوا بعضهم لبعض نصحة مرشدين، ثم آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر يريدون لهم الخير، ويكرهون لهم الشر، ويخافون عليهم من الانزلاق إلى مهالكهم بالمعاصي والكبائر والإثم، ويخافون عليهم أن يكونوا من أهل النار.

ـ ابتغاء رضوان الله والإخلاص في النصح لالتزام صراط الله المستقيم.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[2].

أهم صفات التمكين في الأرض:

١ ـ إقامة الصلاة.

٢ ـ إيتاء الزكاة.

٣ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إذا أراد أن يؤدي وظائف الدعوة إلى الله:

١ ـ الالتزام بآداب التبليغ والنصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) سورة النور، الآيتان: ٥٥ - ٥٦.

(٢) سورة الحج، الآية: ٤١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢ ـ أن يتصف بالحكمة وتكريم المدعو ومخاطبته بلين القول مع حسن بيان، وأن يتصيد الوقت والفرص المناسبة الملائمة.

٣ ـ أن لا يواجهه باستعلاء واستكبار وترفّع، وأن لا يشعره بأنه خير منه عند الله وأفضل، وأن لا يستثير غضبه.

أصناف الناس:

● **الصنف الأول**: صنف جاهل خالي الذهن من المعرفة الإسلامية، وهو منفتح النفس لها، لا يرفض عرضها عليه، بل لديه استعداد لتقبلها. [هو الحقل الممتاز ذو الأرض الخصبة الصالحة للحرث والبذر والإنتاج الوفير، يكثر وجود هذا الصنف من الناس الفقراء والكادحين، والمكتوين بظلم مجتمعهم لهم].

● **الصنف الثاني**: صنف جاهل خالي الذهن من المعرفة الدينية، إلا أنه مغلق النفس دونها، لاستغراقه بمطالب دنياه ولذاته وأهوائه والجمع والمنع، فلا همّ له إلا متاع الحياة الدنيا. [يحسن استغلال هؤلاء الناس حين المصائب...]، [حال هذا الصنف كالأنعام بل أضل سبيلاً، لأنّ لديه أدوات التفكير والتأمل والعقل، وهو لا يستعملها فيما خلقت له].

● **الصنف الثالث**: صنف جاهل خالي الدهن من المعرفة بالإسلام، إلا أنّه مغلق النفس عن تقبّل شيء يتعلق به، تعصباً لما هو عليه من دين أو مذهب، أو حرصاً على مصالحه مما هو فيه من دين أو كفر بكل دين. [هؤلاء من الناس أتباع الملل والمذاهب الفكرية الباطلة، كعامة اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والبوذيين والهندوس والوثنيين والملاحدة.. وهذه الفرصة مناسبة جداً لنشر الإسلام].

● **الصنف الرابع**: صنف عالم بالعقائد الإسلامية، مستيقن متابع، إلا أنه ناقص المعرفة، وتغلبه أهواؤه وشهواته، فهو عرضة دوماً لارتكاب المعاصي والمخالفات. [كلهم من المؤمنين الملتزمين ببعض حقوق مرتبة التقوى].

● **الصنف الخامس**: صنف عالم بأسس الإسلام وعقائده، إلا أن علمه لم يقترن باعتقاد وإيمان جازم، وقد أعلن إسلامه منتسباً للأمة الإسلامية، ولمّا يدخل الإيمان في قلبه، وليس منافقاً في إعلانه.

● **الصنف السادس**: صنف عالم بأسس الإسلام وعقائده، مستيقن مؤمن بها، إلا أنه غافل عن مقتضيات إيمانه، قد استحوذت عليه أهواؤه وشهواته وغفلاته وسكراته. [وتكون معالجته بإيقاظه بتذكيره بما يعلمه مما هو مؤمن به، وباستخراج عناصر إيمانه من مكامنها].

● **الصنف السابع**: صنف عالم بأسس الإسلام وعقائده، وعالم بأنها حق، إلا أنه جاحد لها ظلماً وعدواناً، غير راغب في الإيمان بها والعمل بأحكامها، فهو مغضوب عليه. [علماء اليهود ـ تصعب معالجتهم، لكن لا نيأس من دعوتهم وإقامة الحجة عليهم والدعاء بهدايتهم].

● **الصنف الثامن**: هو كالصنف السابع عالم بأسس الإسلام وعقائده، وعالم بأنها حق، وجاحد لها ظلماء وعدواناً، وزاد بأنّه شيطان مضلٌّ فتانٌ فاسد مفسد في الأرض، ومن هذا الصنف الجبابرة الطغاة.

الكلمات الدعوية في مناسبة العزاء:

خصائصها ـ مضمونها ـ ملاحظات حولها ـ عناوين مقترحة لمجلس العزاء.

أ ـ لها خصائص:

* قصيرة: لا تزيد عن ١٠ دقائق.

* مركزة: أصعب من الكلمة الطويلة.

* أهمية تحضير الكلمات.

* هادفة متوافقة مع المناسبة.. إذا كان الموت مفاجئاً على الكلمة أن تكون لطيفة وتحث على الصبر، ولا تكون ارتجالية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ب ـ الكلمات التي يمكن أن نتكلم عنها:

* واقعية.

* القناعة، انتزاع صور واقعية حياتية. مثال: عمليات التجميل ـ قضايا التجميل ـ عدم الهروب من الحقيقة.. ومنه الدخول إلى الموضوع الداخلي ألا وهو الإيمان والاطمئنان ـ تزكية القلوب والنفوس ـ الحسد ـ الحقد ـ باب الغفلة ـ الاستعداد لهذا اليوم ـ الأمن ـ الأمان ـ الغدر ـ الإيمان بالقضاء والقدر.

* الدعاء وأهميته، وتقوية هذه الدعامة في علاقته مع الله.

* كلمة تحث على الوصية، الصبر وثوابه، الصدقة الجارية.

ت ـ مناسبتها:

* اختيار الأوقات المناسبة لإلقاء الكلمة واليوم والسنة والشهر.

* تبطيل المسجلة.

* قراءة آيات قرآنية فيها تذكير وتنبيه للغافلين.

* الموعظة ـ الكلمة.... آخر التعزية ـ ابتهال ودعاء وصلاة على النبي ـ ذكر الله.

ث ـ الكلمات الدعوية (قواعدها):

* الاستغفار بينه وبين الله ـ نية صادقة في الدعوة إلى الله.

* في اليوم ثلاث كلمات.

* تحضير الكلمات وقراءتها بصوت عالٍ ليعط الداعية الثقة بالنفس.

* التدريب.

* عمل خيري.

* متوازنة بين الترغيب والترهيب.

* تغليب الجانب الروحي والتأثيري، لأنهم مستثارون نفسياً.

* عدم الزجر في هذه المواقف لأن الناس في هكذا لحظات لا تحتمل.

* ذكر حسنات الميت، والسكوت عن خصاله السيئة.

تعليق الناس بكتاب الله، التفكر والاتعاظ بالموت، التوبة، الصلاة ودورها في الآخرة، الرضى بقضاء الله، وفضل الحمد، ماذا نأخذ معنا بعد الموت، الاستعداد الدائم للموت، أثر البلاء في تكفير الذنوب. . .

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

اختبار الذاكرة
في دورة أحكام الجنائز

الاسم: ..... التاريخ: ..... العلامة: .....

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾[1].

لمّا كان تشريع العبادات هو لله عزّ وجل وحده، وليس لغيره منه شيء، فقد شرع لنا من الدين ما وصى به الأنبياء السابقين، وما أوحاه إلى خاتم رسله محمد ﷺ.

ذُكر في إحدى المحاضرات: «الاهتمام والحرص على ما يوافق الشرع، خاصة بعدما تغلبت العادات على العبادات، والعادات لها تمكن في القلوب، ولا سيما في أمور الجنائز.

(١) سورة النور، الآية: ٥٥.

ـ استخرجي أهم المصطلحات من قول الله تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ...﴾ والمقولة: «الاهتمام والحرص...» التي تساعدك كداعية إلى الله عزّ وجل، ومن حَمَلَةِ رسالة الدعوة إلى دين الله.

ـ ذكر رسول الله ﷺ في حديث: «**مَنْ قَالَ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**». ما علاقة هذا الدعاء بسؤال الملكين في القبر؟

ـ قال رسول الله ﷺ: «**ألا إنّ ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا... إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فأضلتهم عن دينهم، وحرَّمتْ عليهم ما أحللت لهم، وأَمَرَتْهُم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا**».

اذكري بعض العادات والتقاليد المخلّة في أحكام الجنائز وكيف يمكنك كداعية أن تدعي إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة؟

العلامة: (٥)

السؤال الثاني:

ضعي إشارة (✓) أما الجواب الصحيح، وإشارة (X) أمام الجواب الخطأ، وصححيه مع التعليل:

☐ «فاقد الشيء لا يعطيه» تعني أننا يجب أن لا نتعلم، ونعبد الله كما يحلوا لنا.

☐ ليس للهوى والشهوة تأثير على الإنسان الغافل عن ذكر الله.

☐ معنى ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ هو أن نقول فقط: «أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله».

☐ معنى الإسلام: أي الاستسلام لهذا النظام الصحيح المرضي عند الله تعالى.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

☐ عند سؤال الملكين (من ربك؟) نجيب: هو الذي يمدنا بكل شيء لبقائنا على قيد الحياة، ويتعهدنا بالتغذية، والتربية، والتنمية، والإرشاد، والإصلاح، والتقويم، والحفظ، والرعاية فهو ربّ العالمين، وربّ كل شيء.

☐ الموت شرعاً هو مفارقة الروح للجسد.

☐ من أهداف مجالس التعزية: نشر الدعوة بين الناس، أي إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

☐ التعزية هي ترك الزينة وما في معناها، والحداد هو تصبير المصاب ومواساته.

☐ ورد عن الفقهاء الجلوس للتعزية.

☐ قراءة القرآن في مجالس العزاء بشرط.

العلامة (١٠)

السؤال الثالث:

رتبي الجمل التالية حسب ما ورد عن رسول الله ﷺ في أحكام الغُسل.

أولاً: تغسيل الميت:

١ ☐ غسل جميع البدن.

٢ ☐ الوضوء ـ (وضوءه للصلاة).

٣ ☐ البدء بغسل ميامن الجسد مرة أولى وثانية وثالثة إذا احتاج الأمر.

٤ ☐ غسل الرأس بماء وسدر أو نحوه.

٥ ☐ يرفعه قليلاً ويعصر بطنه عصراً رفيقاً.

٦ ☐ ينشفه بثوب ويجعل الطيب في أماكن سجوده.

٧ ☐ يضع الغاسل عازلاً لينجيه بها (قفازات).

٨ ☐ يغسل شقه الأيسر مرة أولى وثانية وثالثة إذا احتاج الأمر.

٩ ☐ يجمر أكفانه بالبخور.

١٠ ☐ يضفر شعر المرأة ثلاث ضفائر.

١١ ☐ الستر بمناشف من الصدر إلى أسفل القدمين.

ثانيا: تكفين الميت:

١ ☐ خمار يستر الرأس.

٢ ☐ قميص يستر أعلى جسمها إلى ما دون الإزار.

٣ ☐ إزار يستر من صدرها إلى الركبة.

٤ ☐ لفافتان تحتوي كل منهما على جميع جسدها.

٥ ☐ خرق لشد اللفائف.

أعيدي ترتيب الكفن عن طريق الرسم:

ثالثاً: المواد التي تستخدم في تغسيل الميت:

١ ☐ كافور.

٢ ☐ مسك، حنوط، طيب.

٣ ☐ قفازان للمغسل.

٤ ☐ شامبو.

٥ ☐ مناشف لتنشيف الجسد.

٦ ☐ ليفة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٧ ☐ بخور لتغيير رائحة المكان.

٨ ☐ مقص لقص ملابس الميت في حين لم ينزع ثيابه عند موته.

٩ ☐ مريول عازل للماء يستر أكبر مساحة من جسد المغَسِّل.

١٠ ☐ سدر.

١١ ☐ مواد لإزالة الطلاء عن الأظافر «أسيتون».

١٢ ☐ كمامة أنف للمغسل.

١٣ ☐ مناشف لستر العورة.

العلامة (١٥)

السؤال الرابع:

اذكري عذاب القبر لكل من:

الكاذب ـ النائم عمداً عن الصلاة المفروضة ـ الذي يأخذ القرآن ويرفضه ـ آكل الربا.

العلامة: (٤)

السؤال الخامس:

ذكر رسول الله ﷺ أنّ هناك من يعذب بسبب من لا يستتر من بوله وآخر يمشي بالنميمة.

اذكري سبب تعذيب كل واحد منهما، ولماذا قال ﷺ إنّ هذه الأسباب كبيرة، وإلى ماذا تؤدي؟

العلامة: (٥)

السؤال السادس:

كان سيدنا محمد ﷺ يستعيذ من فتنة المحيا وفتنة الممات.

اشرحي بأسلوبك الخاص: ما هي فتنة القبر؟ ولماذا علينا الاستعاذة بالله منها؟

العلامة: (٣)

السؤال السابع:

ماذا يأخذ المتوفى معه إلى القبر؟

اشرحي كلامك.

العلامة: (٢)

السؤال الثامن:

اذكري ثلاث صفات مع ما يقابلها لقبر كل من:

المؤمن: الكافر:

أ ـ أ ـ

ب ـ ب ـ

ت ـ ت ـ

السؤال التاسع:

عددي بعض ما يباح للمحدة فعله في حال توفي عنها زوجها. مع ذكر مدة العدة للمتوفى عنها زوجها.

العلامة (٥)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السؤال العاشر:

اذكري ما حكم كل من:

١ ـ التعزية، والجلوس للتعزية، وصيغ التعزية.

٢ ـ أهداف المجالس الدعوية.

العلامة (٣)

السؤال الحادي عشر:

للكلمة الدعوية في مناسبة العزاء خصائص ومناسبات وقواعد، اذكريها بالتفصيل.

العلامة: (٣)

جزاكنَّ الله عن أمَّة محمد ﷺ خيراً
وفقكنَّ الله لما يحبه ويرضاه

أختكم في الله:
شيرين خورشيد

بيروت في: ١٤/تموز/ ٢٠٠٩.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑